من وفيات الأعيان
لابن خلكان

obeikandl.com

obeikandl.com

أرتق بن أكسب جد الملوك الأرتقية

هـو رجل مـن التركمان تغلب على حلـوان والجبل ثـم سار إلى الشـام مفارقا لفخر الدولة أبي نصر محمد بـن جهير،خائفا من السلطان محمد بن ملكشـاه وذلك في سنـة ثمان أو تسـع وأربعين وأربعمائة، وملك القـدس من جهة تاج الدولة تتش السلجوقي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى.

ولما توفي أرتـق في التاريخ المذكور فيـه تولاه بعده ولـداه سكمان وإيل غـازي ابنـا أرتق، ولم يـزالا بـه حتـى قصـدهما الأفضل شـاهنشـاه أمير الجيوش الآتي ذكره إن شـاء الله تعالى من مصر بالعسـاكر،وأخذه منهما في شوال سنـة إحدى وتسعين وأربعمائة، وتـوجها إلى بـلاد الجزيرة الفـراتية وملكـا ديار بكـر، وصاحـب قلعة مـاردين الآن مـن أولاده، وملك ولـده نجم الـدين إيـل غازي مدينـة ماردين سنة إحـدى وخمسمائة وكان ولاه السلطان محمد شحنكيـة بغداد، وتوفي سكمان بن أرتـق بعلة الخوانيق في طريق الفرات بين طرابلس والقدس سنة ثمان وتسعين وأربعمائة.

وكان أرتق رجلا شهما ذا عزمة وسعادة وجد واجتهاد، وتوفي سنة أربع وثمانين وأربعمائة رحمه الله تعـالى، وهو بضـم الهمزة وسكـون الراء، وضـم التاء المثناة مـن فوقها بعدهـا قاف، وأكسب بفتح الهمـزة وسكون الكاف وفتح السين المهملـة وبعدها بـاء موحدة، وقيل هـو كسك بالكـاف بدل الباء والله أعلم.

أبـو الحارث أرسـلان بن عبـد الله البسـاسيري التركـي مقدم الأتراك ببغداد

يقال إنـه كان مملوك بهاء الدولـة بن عضد الـدولة بن بويـه والله أعلم. وهو الذي خـرج على الإمام القائم بأمـر الله ببغداد، وكان قد قـدمه على جميـع الأتـراك وقلـده الأمـور بـأسرهـا وخطـب لـه على منـابـر العـراق وخوزستان، فعظم أمره وهابته الملـوك، ثم خرج على الإمام القائم وأخرجه من بغداد وخطب للمستنصر العبيدي صـاحب مصر، فراح الإمام القائم إلى أمير العـرب محيـي الـديـن أبي الحارث مهـارش بـن المجلي العقيلي صاحـب الحديثة وعانة فـآواه، وقام بجميع مايحتـاج إليه مدة سنة كـاملة حتـى جاء طغـرلبك السلجـوقي المذكـور بعـد هذا، وقـاتل البسـاسيري المذكور، وقتلـه وعاد القـائم إلى بغداد، وكـان دخولـه إليها في مثـل اليوم الذي خرج منها بعد حول كامـل، وكان ذلك من غرائب الاتفاق وقصته مشهورة وقتله عسكـر السلطان طغرلبك السلجوقي ببغـداد يوم الخيمس خامس عشر ذي الحجة.

وقال ابـن العظيمي: يوم الثلاثـاء حادي عشر ذي الحجة سنـة احدى وخمسين وأربعمائة، وطيف برأسه في بغداد، وصلب قبالة باب النوبى.

والبسـاسيري بفتح البـاء الموحدة والسين المهملـة، وبعد الألـف سين مهملة مكسورة ثـم ياء ساكنة مثنـاة من تحتها، وبعدهـا راء، هذه النسبة إلى بلـدة بفارس يقـال لها بسا، وبـالعربيـة فسـا، والنسبة إليهـا بالعـربي فسوي، ومنها الشيخ أبو علي الفارسي النحـوي صاحب الايضاح، ويقال له فسـوي أيضا وأهـل فارس يقـولون في النسبـة إليها البسـاسيري، وهي نسبـة شاذة على خـلاف الأصـل، وكان سيـد أرسـلان المذكـور من بسـا فنسب المملوك إليـه، واشتهر بالبساسيري هكذا ذكره السمعـاني نقلا عن

الأديب أبي العباس أحمد بن علي بن بابه القاساني، وفي هذه اللفظة زيادة ليست في الأصل.

ومات الأمير مهارش بن المجلي في صفر سنة تسع وتسعين وأربعمائة، وقد ناهز ثمانين سنة وهو مهارش بن المجلي بن عكيث بن قباث بن شعب بن المقلد بن جعفر بن عمرو بن المهنا، وبقية نسبه ستأتي في ترجمة المقلد بن المسيب إن شاء الله تعالى.

obeikandl.com

أبو الحارث أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر صاحب الموصل المعروف بأتابك الملقب الملك العادل نور الدين وسيأتي ذكر جماعة من آل بيته إن شاء الله تعالى كل واحد في حرفه

ملك نور الدين المذكور الموصل بعد وفاة أبيه في التاريخ المذكور هناك،وكان ملكا شهما عارفا بالأمور وانتقل إلى مذهب الشافعي رضي الله عنه، ولم يكن في بيته شافعي سواه، وبنى مدرسة للشافعية بالموصل قل ان توجد مدرسة في حسنها،وتوفي ليلة الأحد التاسع والعشرين من رجب سنة سبع وستمائة في شبارة بالشط ظاهر الموصل، والشبارة عندهم هي الحراقة بمصر، وكتم موته حتى دخل به إلى دار السلطنة بالموصل ودفن في تربته التي بمدرسته المذكورة رحمه الله تعالى، وخلف ولدين: هما الملك القاهر عز الدين مسعود، والملك المنصور عماد الدين زنكي، وهما مذكوران في ترجمة جدهما عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي، فليطلبا منه إن شاء الله تعالى.

وقام بالمملكة بعده ولده الملك القاهر، كما هو مشروح هناك، وهو أستاذ الأمير بدر الدين أبي الفضائل لؤلؤ، الذي تغلب على الموصل وملكها في سنة ثلاثين وستمائة في أواخر شهر رمضان، وكان قبل نائبا بها، ثم استقل وهو المذكور في ترجمة عماد الدين بن المشطوب.

أبو سعيد آق سنقر بن عبد الله الملقب قسيم الدولة المعروف بالحاجب جد البيت الأتابكي أصحاب الموصل، وهو والد عماد الدين زنكي بن آق سنقر الآتي ذكره إن شاء الله تعالى

كان مملوك السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي هو وبزان صاحب الرها،ولما ملك تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان السجوقي في مدينة حلب استناب فيها آق سنقر المذكور، واعتمد عليه لأنه مملوك أخيه فعصى عليه، فقصده تاج الدولة وهو صاحب دمشق يومئذ فخرج لقتاله وجرى بينهما مصاف وحرب شديد، وانجلت عن قتل آق سنقر المذكور، وذلك في جمادى الأولى سنة سبع وثمانين وأربعمائة، ودفن بالمدرسة المعروفة بالزجاجية داخل حلب رحمه الله تعالى، ورأيت عند قبره خلقا كثيرا يجتمعون كل يوم جمعة لقراءة القرآن الكريم، وقالوا: إن لهم على ذلك وقفا عظيما يفرق عليهم، ولاأعلم من وقفه، ثم إني وجدت الذي وقفه ولد ولده نور الدين محمود الآتي ذكره إن شاء الله تعالى، وسيأتي في ترجمة تاج الدولة تتش خبر آق سنقر المذكور، على خلاف هذه الواقعة والله أعلم بالصواب.

والزجاجية بناها أبو الربيع سليمان بن عبد الجبار بن أرتق صاحب حلب، وكان أولا مدفونا بقرنبيا، فلما ملك ولده عماد الدين زنكي حلب نقله إلى المدرسة ودلاه من سور البلد، وكان قتل آق سنقر على قرية يقال لها رويان بالقرب من سبعين من أعمال حلب، ذكرها ياقوت الحموي.

أبو سعيد آق سنقر البرسقي الغازي الملقب قسيم الدولة سيف الدين

صاحب الموصل والرحبة وتلك النواحي، وملكها بعد اسباسلار مودود، وكان مودود بها وببلاد الشام من جهة السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى، فقتل مودود بجامع دمشق يوم الجمعة ثاني عشر شهر ربيع الآخر سنة تسع وخمسمائة، وكان قد وثب عليه جماعة من الباطنية فقتلوه، وآق سنقر يومئذ شحنة بغداد، كان ولاه إياها السلطان محمد المذكور في سنة ثمان وتسعين وأربعمائة لما استقرت له السلطنة بعد موت أخيه بركياروق.

وفي سنة تسع وتسعين وجهه السلطان محمد لمحاصرة تكريت وكان بها كيقباذ بن هزارسب الديلمي المنسوب إلى الباطنية، فأصعد آق سنقر إليه في رجب من السنة المذكورة، وحاصره إلى المحرم من سنة خمسمائة، فلما كاد أن يأخذها أصعد إليه سيف الدولة صدقة فتسلمها، وانحدر كيقباذ صحبته، ومعه أمواله وذخائره، فلما وصل إلى الحلة مات كيقباذ، فلما وصل خبر قتل مودود تقدم السلطان محمد إلى آق سنقر بالتجهز إلى الموصل والاستعداد لقتال الفرنج بالشام، فوصل إلى الموصل وملكها وغزا ودفع الفرنج عن حلب وقد ضايقوها بالحصار، ثم عاد إلى الموصل وأقام بها إلى أن قتل.وهو من كبراء الدولة السلجوقية، وله شهرة كبيرة بينهم، قتلته الباطنية بجامع الموصل يوم الجمعة التاسع من ذي القعدة سنة عشرين وخمسمائة.

وذكر ابن الجوزي في تاريخه أن الباطنية قتلته في مقصورة الجامع بالموصل سنة تسع عشرة وخمسمائة، وقال العماد: سنة عشرين وذكر أنهم جلسوا له في الجامع بزي الصوفية، فلما انفتل من صلاته قاموا إليه

وأثخنوه جراحا في ذي القعدة، وذلك لأنه كان تصدى لاستئصال شأفتهم وتتبعهم وقتل منهم عصبة كبيرة رحمه الله تعالى.

وتولى ولده عز الدين مسعود موضعه ثم توفي يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وخمسمائة رحمه الله تعالى وملك بعده عماد الدين زنكي بن آق سنقر المذكور قبله كما سيأتي في حرف الزاي إن شاء الله تعالى.

والبرسقي بضم الباء الموحدة وسكون الراء وضم السين المهملة وبعدها قاف ولاأعلم هذه النسبة إلى أي شيء هي، ولم يذكرها السمعاني، ثم إني وجدت نسبته بعد هذا إلى برسق، وكان من مماليك السلطان طغرلبك أبي طالب محمد الآتي ذكره إن شاء الله تعالى، وتقدم في الدولة السلجوقية، وكان من الأمراء المشار إليهم فيها، المعدودين من أعيانهم.

تاج الدولة أبو سعيد تتش بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق السلجوقي.

كان صاحب البلاد الشرقية، فلما حاصر أمير الجيوش بدر الجمالي مدينة دمشق، من جهة صاحب مصر، وكان صاحب دمشق يومئذ أتسز ابن أوق الخوارزمي التركي، سير أتسز المذكور إلى تتش، فاستنجد به، فأنجده وسار إليه بنفسه، فلما وصل إلى دمشق خرج إليه أتسز، فقبض عليه تتش، واستولى على مملكته، وذلك في سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر،وكان قد ملك دمشق في ذي القعدة سنة ثمان وستين وأربعمائة.

ورأيت في بعض التواريخ أن ذلك كان سنة اثنتين وسبعين، والله أعلم.

ثم ملك حلب بعد ذلك في سنة ثمان وسبعين وأربعمائة كما تقدم في ترجمة آق سنقر، واستولى على البلاد الشامية، ثم جرى بينه وبين ابن أخيه بركياروق، المقدم ذكره منافرات ومشاجرات أدت إلى المحاربة، فتوجه إليه فتصافا بالقرب من مدينة الري، في يوم الأحد سابع عشر صفر سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، فانكسر تتش المذكور، وقتل في المعركة ذلك النهار.

ومولده في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، وخلف ولدين- أحدهمافخر الملوك رضوان، والآخر شمس الملوك أبو نصر دقاق، فاستقل رضوان بمملكة حلب، ودقاق بمملكة دمشق، وتوفي رضوان في سلخ جمادى الأولى سنة سبع وخمسمائة، ومن نوابه أخذ الفرنج أنطاكية في سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة.

وتوفي دقاق في ثامن عشر شهر رمضان سنة سبع وتسعين وأربعمائة،

ودفن في مسجد بحكر الفهادين بظاهر دمشق الذي على نهر بردى، وكان قد حصل له مرض متطاول، وقيل إن أمه سمته في عنقود عنب، فلما مات قام بالملك ظهير الدين أبومنصور طغتكين، وكان أتابكه وتزوج أمه في حياة أبيه، زوجه إياها، وهو عتيق تتش، رحمهم الله تعالى.

وأولاد الملك رضوان المقيمون بظاهر حلب هم أولاد رضوان المذكور، ولم يزل ظهير الدين طغتكين مالك دمشق، إلى أن توفي يوم السبت لثمان خلون من صفر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة وتولى الأمر بعده ولده تاج الملوك أبو سعيد بوري إلى أن توفي يوم الاثنين الحادي والعشرين من رجب سنة ست وعشرين وخمسمائة من جراحة أصابته من الباطنية، وتولى بعده ولده شمس الملوك اسماعيل إلى أن قتل يوم الأربعاء رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وخمسمائة قتلته أمه خاتون زمرد بنت جاولي، وأجلست أخاه شهاب الدين أبا القاسم محمود بن بوري فتولى الأمر بعده بدمشق إلى أن قتل ليلة الجمعة الثالث والعشرين من شوال سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، قتله غلامه البقش ويوسف الخادم والفراش الخركاوي، وصبيحة قتله وصل أخوه جمال الدين محمد بن بوري من بعلبك، وكان صاحبها فملك دمشق، وأقام بها إلى أن توفي ليلة الجمعة ثامن شعبان سنة أربع وثلاثين وخمسمائة، وتولى بعده مملكة دمشق ولده مجير الدين أبق بن محمد بن بوري بن طغتكين إلى أن نزل عليها نور الدين محمود بن زنكي في التاريخ الآتي ذكره في ترجمته إن شاء الله تعالى وأخذها منه وعرضه عوضه عنها حمص، فأقام بها يسيرا ثم انتقل الى بالس التي على الفرات بأمر نور الدين وأقام بهامدة ثم توجه الى بغداد واقبل عليه الامام المقتفي ولا أعلم متى مات، ولما كان بدمشق كان مدبر دولته معين الدين انر بن عبد الله مملوك جده طغتكين، وهو الذي ينسب إليه قصر معين الدين ببلاد الغور من أعمال دمشق، وتوفي معين الدين المذكور في ليلة الثالث

والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وهو الذي تزوج نور الدين محمود ابنته، تزوجها من بعده السلطان صلاح الدين رحمهم الله اجمعين، وله بدمشق مدرسة ثم وجدت تاريخ وفاة مجير الدين أبق فذكرتها في ترجمة نور الدين محمود الآتي ذكره إن شاء الله تعالى.

obeikandl.com

الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب بن شاذي بن مروان الملقب فخر الدين

وقد تقدم ذكر أبيه وأخيه تاج الملوك، وهو أخو السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى، وكان أكبر منه وكان السلطان يكثر الثناء عليه ويرجحه على نفسه، وبلغه أن باليمن انسانا يسمى عبد النبي بن مهدي يزعم أنه ينتشر ملكه حتى يملك الأرض كلها، وكان قد ملك كثيرا من بلادها، واستولى على حصونها وخطب لنفسه، وكان السلطان قد ثبتت قواعده وقوي عسكره، فجهز أخاه شمس الدولة المذكور بجيش اختاره وتوجه إليها من الديار المصرية في أثناء رجب سنة تسع وستين وخمسمائة، فمضى إليها وفتح الله على يديه وقتل الخارجي الذي كان فيها، وملك معظمها وأعطى وأغنى خلقا كثيرا، وكان كريما أريحيا، ثم إنه عاد من اليمن والسلطان على حصار حلب، فوصل إلى دمشق في ذي الحجة سنة إحدى وسبعين، ولما رجع السلطان من الحصار وتوجه إلى الديار المصرية استخلفه بدمشق، فأقام بها مدة ثم انتقل إلى مصر.

وذكر ابن شداد في سيرة صلاح الدين أنه توفي يوم الخميس مستهل صفر، وقال في موضع آخر من السيرة أيضا: خامس صفر سنة ست وسبعين وخمسمائة بثغر الاسكندرية المحروس، ونقلته أخته شقيقته ست الشام بنت أيوب إلى دمشق ودفنته في مدرستها التي أنشأتها بظاهر دمشق، فهناك قبره وقبرها وقبر ولدها حسام الدين عمر بن لاجين، وقبر زوجها ناصر الدين أبي عبد الله محمد بن أسد الدين شيركوه صاحب حمص، وكانت تزوجته بعد لاجين رحمهم الله أجمعين، وكانت وفاة حسام الدين المذكور ليلة الجمعة تاسع عشر شهر رمضان سنة سبع وثمانين وخمسمائة.

وهذا حسام الدين المذكور هو سيد شبل الدولة كافور بن عبد الله

الحسامي الخادم صاحب المدرسة والخانقاه الشبلية اللتين في ظاهر دمشق على طريق جبل قاسيون، ولهما شهرة في مكانهما وله أوقاف كثيرة ومعروف نافع في الدنيا والآخرة، وكانت وفاته في رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة ودفن في تربته المجاورة لمدرسته المذكورة وسيأتي ذكر ناصر الدين محمد بن شيركوه في ترجمة أبيه في حرف الشين إن شاء الله تعالى.

وتوفيت ست الشام المذكورة في سادس عشر ذي القعدة سنة ست عشرة وستمائة.

وبعد الفراغ من هذه الترجمة وجدت بخط بعض الفضلاء ممن له عناية بهذا الفن زيادة على ماذكرته ههنا، فتركت ماهو مذكور في هذا المكان، وأتيت بتلك الزيادة فقال: لما تمهدت بلاد اليمن لشمس الدولة، واستقامت له أمورها كره المقام بها لكونه تربية بلاد الشام وهي كثيرة الخير، واليمن بلاد مجدبة من ذلك كله، فكتب إلى أخيه صلاح الدين يستقيل منها ويسأله الأذن له في العود إلى الشام، ويشكو حاله وما يقاسيه من عدم المرافق التي يحتاج إليها فأرسل إليه صلاح الدين رسولا مضمون رسالته ترغيبه في الإقامة، وأنها كثيرة الأموال ومملكة كبيرة، فلما سمع الرسالة قال لمتولي خزانته: أحضر لنا ألف دينار فأحضرها، فقال لأستاذ داره والرسول حاضر عنده: أرسل هذا الكيس إلى السوق يشترون لنا بمافيه قطعة ثلج، فقال أستاذ الدار: يامولانا هذه بلاد اليمن من أين يكون فيها ثلج، فقال: دعهم يشترون بها طبق مشمش لوزي، فقال: من أين يوجد هذا النوع ههنا، فجعل يعدد عليه جميع أنواع فواكه دمشق وأستاذ الدار يظهر التعجب من كلامه،وكلما قال له عن ذلك نوع يقول له:يامولانا من أين يوجد هذا ههنا؟ فلما استوفى الكلام إلى آخره قال للرسول: ليت شعري ماذا أصنع بهذه الأموال إذا لم أنتفع بها في ملاذي وشهواتي، فإن المال لايؤكل بعينه بل الفائدة فيه أنه يتوصل به الانسان

إلى بلوغ أغراضه، فعاد الرسول إلى صلاح الدين، وأخبره بما جرى، فأذن له في المجيء وكان القاضي الفاضل يكتب إليه الرسائل الفائقة ويودعها شرح الأشواق، فمن ذلك أبيات مشهورة ذكرها في ضمن كتاب، وهي:

لاتضجرن مما أتيت فإنه
صدر لأسرار الصبابة ينفث
أما فراقك واللقاء فإن ذا
منه أموت وذاك منه أبعث
حلف الزمان على تفرق شملنا
فمتى يرق لنا الزمان ويحنث
كم يلبث الجسم الذي ما نفسه
فيه ولا أنفاسه كم يلبث
حول المضاجع كتبكم فكأنني
ملسوعكم وهي الرقاة النفث

ولما وصل إلى دمشق في التاريخ المقدم ذكره، ناب عن أخيه صلاح الدين بها، لما عاد صلاح الدين إلى الديار المصرية، ثم انتقل إلى الديار المصرية في سنة أربع وسبعين وخمسمائة، وكان أخوه صلاح الدين قد سيره في سنة ثمان وستين وخمسمائة إلى بلاد النوبة ليفتحها، قبل سفره إلى اليمن، فلما وصل إليها وجدها لاتساوي المشقة فتركها، ورجع وقد غنم شيئا كثيرا من الرقيق، وكانت له من أخيه اقطاعات، ونوابه باليمن يجبون له الأموال، ومات وعليه من الديون مائتا ألف دينار، فقضاها عنه صلاح الدين.

وحكى صاحبنا الشيخ مهذب الدين أبو طالب محمد بن علي المعروف بابن الخيمي الحلي، نزيل مصر، الأديب الفاضل، قال: رأيت في النوم شمس الدولة توران شاه بن أيوب، وهو ميت فمدحته بأبيات، وهو في القبر، فلف كفنه ورماه إلي وأنشدني:

لاتستقلـــن معـــروفنـــا سمحـــت بـــه
ميتـــا فـــأمسيـــت منـــه عـــاريـــا بـــدني
ولاتظنـــن جـــودي شـــابـــه بخـــل
مـــن بعـــد بـــذلي ملـــك الشـــام واليمـــن
إني خـــرجـــت مـــن الـــدنيـــا وليـــس معـــي
مـــن كـــل مـــا ملكـــت كفـــي ســـوى كفنـــي

ولما كان في اليمن استناب في زبيد سيف الدولة أبا الميمون المبارك بن منقذ الآتي ذكره في حرف الميم، إنشاء الله تعالى.

وتوران بضم التاء المثناة من فوقها وسكون الواو، وبعدها راء ثم بعد الألف نون، وهو لفظ أعجمي، وشاه بالشين المعجمة، هو الملك باللغة العجمية، ومعناه ملك المشرق، وإنما قيل للمشرق توران، لأنه بلاد الترك، والعجم يسمون الترك تركمان،ثم حرفوه فقالوا: توران، والله أعلم.

أبو سليمان داود الملقب الملك الزاهر مجير الدين ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمهم الله تعالى.

كان صاحب قلعة البيرة التي على شاطىء الفرات، وكان يحب العلماء وأهل الفضل ويقصدونه من البلاد، ولما ولد بالقاهرة كان السلطان صلاح الدين بالشام، وكان الثاني عشر من أولاده، فكتب إليه القاضي الفاضل رسالة يبشره بولادته من جملتها: « وهذا المولود المبارك هو الموفى لاثني عشر ولدا، بل لاثني عشر نجما متقدا فقد زاده الله تعالى في أنجمه عن أنجم يوسف عليه السلام نجما، ورآهم المولى يقظة ورأى يوسف تلك الأنجم حلما، ورآهم يوسف ساجدين له، ورأينا الخلق لهم سجودا، وهو تعالى قادر أن يزيد في جدود المولى إلى أن يراهم آباء وجدوداً» وقد ألم القاضي الفاضل في آخر هذا الكلام بقول البحتري في مدح الخليفة المتوكل، وقد ولد له المعتز من قصيدة:

وبقيت حتى تستضيء برأيه
وترى الكهول الشيب من أولاده

وحكى عنه جماعة أنه كان يقول من أراد أن يبصر صلاح الدين فليبصرني فأنا أشبه أولاده به، وكانت ولادته لسبع بقين من ذي الحجة، وقيل القعدة سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة، وهو شقيق الملك الظاهر الآتي ذكره في حرف الغين المعجمة إن شاء الله تعالى، وتوفي بالبيرة في ليلة التاسع من صفر سنة اثنتين وثلاثين وستمائة، وكنت بحلب وقد وصل نعيه اليها فتوجه الملك العزيز ابن الملك الظاهر أخيه إلى القلعة المذكورة وملكها رحمه الله تعالى، والبيرة بكسر الباء الموحدة، وسكون الياء المثناة من تحتها، وفتح الراء وبعدها هاء ساكنة، وهي قلعة بقرب سميساط من ثغور الروم على الفرات من جانب الجزيرة الفراتية. وسميساط في بر الشام بين قلعة الروم وملطية ، والفرات يفصل بين الجهتين والله أعلم.

أبو الأغر دبيس بن سيف الدولة أبي الحسن صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي الناشري الملقب نور الدولة

ملك العرب صاحب الحلة المزيدية، كان جوادا كريما عنده معرفة بالأدب والشعر، وتمكن في خلافة الإمام المسترشد، واستولى على كثير من بلاد العراق، وهو من بيت كبير وسيأتي ذكر أبيه وأجداده في حرف الصاد إن شاء الله تعالى، ودبيس المذكور هو الذي عناه الحريري صاحب المقامات في المقامة التاسعة والثلاثين بقوله: أو الأسدي دبيسّ لأنه كان معاصره كما نذكره في حرف القاف إن شاء الله تعالى، فرام التقرب إليه بذكره في مقاماته،ولجلالة قدره أيضا، وله نظم حسن، ورأيت العماد الكاتب في الخريدة وابن المستوفي في تاريخ إربل وغيرهما قد نسبوا إليه الأبيات اللامية التي من جملتها:

أسلمه حب سليمانكم
إلى هوى أيسره القتل

ورأيت ابن بسام صاحب كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة قد ذكرها لابن رشيق القيرواني،وقد ذكرتها في ترجمته في حرف الحاء، والظاهر أنها لابن رشيق لأن ابن بسام ذكر في الذخيرة أنه ألفها في سنة اثنتين وخمسمائة، وفي هذا التاريخ كان دبيس شابا يبعد أن يصل شعره في ذلك السن إلى الأندلس، وينسب إلى مثل ابن رشيق مع معرفة ابن بسام بأشعار أهل المغرب، وذكر ابن المستوفي في تاريخه أن بدران أخا دبيس كتب إلى أخيه المذكور وهو نازح عنه:

إلا قل لمنصور وقل لمسيب
وقل لدبيس إنني لغريب
هنيئا لكم ماء الفرات وطيبه
إذا لم يكن لي في الفرات نصيب

فكتب اليه دبيس:

إلا قل لبدران الذي حن نازعا
إلى أرضه والحر ليس يخيب
تمتع بأيام السرور فإنما
عذار الأماني بالهموم يشيب
ولله في تلك الحوادث حكمة
وللأرض من كأس الكرام نصيب

وذكرغير ابن المستوفي أن بدران بن صدقة المذكور لقبه تاج الملوك، ولما قتل أبوه تغرب عن بغداد ودخل الشام فأقام بها مدة، ثم توجه إلى مصر ومات بها في سنة اثنتين وخمسمائة، وكان يقول الشعر، وذكره العماد الكاتب الأصبهاني في كتاب الخريدة: وكان دبيس في خدمة السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي وهم نازلون على باب المراغة من بلاد أذربيجان، ومعهم الإمام المسترشد بالله لسبب سنذكره في ترجمة مسعود المذكور إن شاء الله تعالى، فهجموا خيمته أعني المسترشد بالله وقتلوه يوم الخميس الثامن والعشرين.

وقال ابن المستوفي: الرابع عشر من ذي القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة، وخاف أن تنسب القضية إليه وأراد أن تنسب إلى دبيس المذكور فتركه إلى أن جاء إلى الخدمة وجلس على باب خيمة السلطان، فسير بعض مماليكه فجاءه من ورائه وضرب رأسه بالسيف فأبانه، وأظهر السلطان بعد ذلك أنه إنما فعل هذا انتقاما منه بما فعل في حق الإمام، وكان ذلك بعد قتل الإمام بشهر رحمه الله تعالى، وذكر المأموني في تاريخه أنه قتل في رابع عشر ذي الحجة من السنة المذكورة على باب خوي، وكان قد أحس بتغيير رأي السلطان فيه منذ قتل المسترشد، وعزم على الهرب مرارا وكانت المنية تثبطه.

وذكر ابن الأزرق في تاريخه أن قتله كان على باب تبريز، وأنه لما قتل

حمل إلى ماردين إلى زوجته كهار خاتون فدفن بالمشهد عند نجم الدين إلغازي صاحب ماردين، والد كهار خاتون المذكورة، ثم تزوج السلطان المذكور زبيدة بنت الوزير نظام الملك، وسيأتي ذكر ذلك في ترجمة فخر الدولة بن جهير إن شاء الله تعالى.

والناشري بفتح النون، وبعد الألف شين معجمة مكسورة، وبعدها راء ثم ياء، هذه النسبة إلى ناشرة بن نصر، بطن من أسد بن خزيمة.

أبو الجود عماد الدين زنكي بن آق سنقر بن عبد الله الملقب بالملك المنصور المعروف والده بالحاجب

كان صاحب الموصل، وقد تقدم ذكر أبيه في حرف الهمزة، وكان من الأمراء المقدمين، وفوض إليه السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي ولاية بغداد في سنة إحدى وعشرين وخمسمائة، وكان لما قتل آق سنقر البرسقي المذكور في حرف الهمزة، وتوفي أيضا ولده مسعود حسبما ذكرناه في ترجمته ورد مرسوم السلطان محمود من خراسان بتسليم الموصل إلى دبيس بن صدقة الأسدي صاحب الحلة، وقد تقدم ذكره أيضا فتجهز دبيس للمسير، وكان بالموصل أمير كبير المنزلة يعرف بالجاولي، وهو مستحفظ قلعة الموصل ومتولي أمورها من جهة البرسقي، فطمع في البلاد وحدثته نفسه بتملكها، فأرسل إلى بغداد بهاء الدين أبا الحسن علي بن القاسم الشهرزوري وصلاح الدين محمد اليغسياني لتقرير قاعدته، فلما وصلا إليها وجدا الإمام المسترشد قد أنكر تولية دبيس، وقال: لاسبيل إلى هذا، وترددت الرسائل بينه وبين السلطان محمود في ذلك، وآخر ماوقع اختيار المسترشد عليه تولية زنكي المذكور، فاستدعى الرسولين الواصلين من الموصل وقرر معهما أن يكون الحديث في البلاد لزنكي، ففعلا ذلك وضمنا للسلطان مالا وبذل له على ذلك المسترشد من ماله مائة ألف دينار، فبطل أمر دبيس وتوجه زنكي إلى الموصل وتسلمها، ودخلها في عاشر رمضان سنة إحدى وعشرين وخمسمائة كذا قال ابن العظيمي في تاريخه، وقد قيل إن انتقاله إلى الموصل كان في سنة اثنين وعشرين وخمسمائة، والأول أصح وسيأتي ذكر السلطان محمود في حرف الميم إن شاء الله تعالى.

ولما تقلد زنكي الموصل سلم إليه السلطان محمود ولديه ألب أرسلان، وفروخ شاه المعروف بالخفاجي ليربيهما، فلهذا قيل له أتابك، لأن الأتابك هو الذي يربي أولاد الملوك وقد تقدم ذكر ذلك في حرف الجيم

عند ذكر جقر، ثم استولى زنكي على ماوالى الموصل من البلاد، وفتح الرها يوم السبت الخامس والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسع وثلاثين وخمسمائة، وكانت لجوسلين الأرمني، ثم توجه إلى قلعة جعبر وملكها يوم ذاك سيف الدولة أبو الحسن علي بن مالك، فحاصرها وأشرف على أخذها، فأصبح يوم الأربعاء خامس عشر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وخمسمائة مقتولا، قتله خادمه وهو نائم على فراشه ليلا، ودفن بصفين.

وذكر شيخنا عز الدين بن الأثير الجزري في تاريخه الأتابكي أن زنكي المذكور لما قتل والده كان عمره تقديراً عشر سنين، وقد تقدم تاريخ قتل والده في ترجمته، فيكون مولده سنة سبع وسبعين وأربعمائة، وصفين بكسر الصاد المهملة وتشديد الفاء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون، وهي أرض على شاطىء الفرات بالقرب من قلعة جعبر إلا أنها في بر الشام، وقلعة جعبر في بر الجزيرة الفراتية بينهما مقدار فرسخ وأقل وفيها مشهد في موضع الوقعة التي كانت بها المشهورة التي بين على بن أبي طالب كرم الله وجهه، ومعاوية بن أبي سفيان، وبهذه الأرض قبور جماعة من الصحابة رضي الله عنهم حضروا هذه الوقعة وقتلوا بها منهم عمار بن ياسر رضي الله عنه.

وتوفي القاضي بهاء الدين الشهرزوري الرسول المذكور يوم السبت سادس عشر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة بحلب، وحمل إلى صفين ودفن بها رحمة الله تعالى عليه.

أبو الفتح عماد الدين زنكي بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي المذكور قبله المعروف بصاحب سنجار

قد ملك حلب بعد ابن عمه الملك الصالح نور الدين اسماعيل بن محمود بن زنكي، وكانت وفاة الصالح المذكور في سنة سبع وسبعين وخمسمائة، ثم إن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب نزل على حلب وحاصرها في سنة تسع وسبعين، وآخر الأمر وقع الاتفاق على أنه عوض عماد الدين زنكي المذكور سنجار وتلك النواحي، وأخذ منه حلب، وذلك في صفر سنة تسع وسبعين وخمسمائة، وانتقل زنكي إلى سنجار، ولم يزل بها إلى أن توفي في المحرم سنة أربع وتسعين وخمسمائة.

أبو الحارث شيركوه بن شادي بن مروان، الملقب الملك المنصور أسد الدين عم السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى.

قد تقدم من حديثه نبذة في أخبار شاور، وكان شاور قد وصل إلى الشام يستنجد بنور الدين في سنة تسع وخمسين وخمسمائة،وذكر بهاء الدين بن شداد أن ذلك كان في سنة ثمان وخمسين، وأنهم وصلوا إلى مصر في الثاني من جمادى الآخرة من السنة المذكورة، حكاه في سيرة صلاح الدين، فسير معه جماعة من عسكره وجعل مقدمهم أسد الدين شيركوه، وقدموا مصر، وغدر بهم شاور، ولم يف بما وعدهم به فغادروا إلى دمشق، وكان رحيلهم عن مصر في السابع من ذي الحجة من السنة المذكورة، ثم إنه عاد إلى مصر، وكان توجهه إليها في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وستين لأنه طمع في ملكها في الدفعة الأولى، وسلك طريق وادي الغزلان، وخرج عند أطفيح وكانت في تلك الدفعة وقعة البابين عند الأشمونين، وتوجه السلطان صلاح الدين إلى الاسكندرية، واحتمى بها، وحاصره شاور وعسكر مصر، ثم رجع أسد الدين من الصعيد إلى بلبيس، وجرى الصلح بينه وبين المصريين وسيروا له السلطان صلاح الدين، وعاد إلى الشام، ولما وصل الفرنج إلى بلبيس وملكوها وقتلوا أهلها في سنة أربع وستين سيروا إلى أسد الدين، وطلبوه ومنوه ودخلوا في مرضاته لأن ينجدهم، فمضى إليهم وطرد الفرنج عنهم،وكان وصوله إلى مصر في شهر ربيع الأول من السنة المذكورة وعزم شاور على قتله، وقتل الأمراء الكبار الذين معه فبادروه وقتلوه كما تقدم في ترجمته، وتولى أسد الدين الوزارة يوم الأربعاء سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين وخمسمائة، وأقام بها شهرين وخمسة أيام، ثم توفي فجأة يوم السبت الثاني والعشرين، وقال الروحي يوم الأحد الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة بالقاهرة ، ودفن بها ثم نقل إلى مدينة الرسول

صلى الله عليه وسلم بعد مدة بوصية منه رحمه الله تعالى وتولى مكانه صلاح الدين.

وقال ابن شداد في سيرة صلاح الدين: إن أسد الدين كان كثير الأكل شديد المواظبة على تناول اللحوم الغليظة، تتواتر عليه التخم والخوانيق، وينجو منها بعد مقاساة شدة عظيمة فأخذه مرض شديد واعتراه خانوق عظيم فقتله في التاريخ المذكور، ولم يخلف ولدا سوى ناصر الدين محمد بن شيركوه الملقب الملك القاهر، ولما مات أسد الدين أخذ نور الدين حمص منهم في رجب سنة أربع وستين وخمسمائة، فلما ملك صلاح الدين الشام أعطى حمص لناصر الدين المذكور ولم يزل ملكها حتى توفي يوم عرفة سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، ونقلته زوجته بنت عمه ست الشام بنت أيوب إلى تربتها بمدرستها بدمشق ظاهر البلد ودفنته عند أخيها شمس الدولة توران شاه بن أيوب المقدم ذكره، وملك حمص بعده ولده أسد الدين شيركوه ومولده في سنة تسع وستين وخمسمائة، وتوفي يوم الثلاثاء تاسع عشر رجب سنةسبع وثلاثين وستمائة بحمص، ودفن في تربته داخل البلد، وكانت له أيضا الرحبة وتدمر وماكسين من بلد الخابور، وخلف جماعة من الأولاد، فقام مقامه في الملك ولده الملك المنصور ناصر الدين ابراهيم، ولم يزل حتى توفي يوم الجمعة عاشر صفر سنة أربع وأربعين وستمائة بالنيرب من غوطة دمشق، ونقل إلى حمص ودفن ظاهر البلد في مسجد الخضر عليه السلام من جهتها القبلية، وترتب مكانه ولده الملك الأشرف مظفر الدولة أبو الفتح موسى، وأخبرني الأشرف المذكور بدمشق في أواخر سنة إحدى وستين وستمائة أن مولده في السنة التي كسر فيها الخوارزمية بالروم وأن والده بشر به وهم راجعون من هناك، وكانت الوقعة في شهر رمضان سنة سبع وعشرين وستمائة حسبما هو مشروح في ترجمة الأشرف بن العادل، وقال لي: إن والده لما بشر به قال للملك الأشرف بن العادل: ياخوند قد زاد في مماليكك واحد،فقال: سمه باسمي فسماه الأشرف مظفرالدين ابا الفتح

موسى، وكانت وفاة الأشرف بن المنصور المذكور بحمص يوم الجمعة عاشر صفر سنة اثنتين وستين وستمائة، ودفن عند قبر أسد الدين شيركوه جده داخل حمص، فيكون تقدير ولادته في شوال أو ذي القعدة سنة سبع وعشرين، وشيركوه لفظ عجمي تفسيره بالعربي أسد الجبل، فشير أسد وكوه جبل، وحج شيركوه في سنة خمس وخمسين وخمسمائة من دمشق على طريق تيماء وخيبر، وفي تلك السنة حج زين الدين علي بن بكتكين على طريق العراق واجتمع بالخليفة.

obeikandl.com

سيف الاسلام أبو الفوارس طغتكين بن أيوب بن شاذي بن مروان المنعوت بالملك العزيز ظهير الدين صاحب اليمن

كان أخوه السلطان الملك الناصر صلاح الدين ملك الديار المصرية قد سير أخاه شمس الدولة توران شاه المقدم ذكره في حرف التاء إلى بلاد اليمن،فملكها واستولى على كثير من بلادها، ورجع عنها حسبما هو مذكور في ترجمته، ثم سير السلطان إليها بعد ذلك أخاه سيف الاسلام المذكور، وذلك في سنة سبع وسبعين وخمسمائة وكان رجلا شجاعا كريما مشكور السيرة، حسن السياسة، مقصودا من البلاد الشاسعة لاحسانة وبره، ورحل إليه شرف الدين أبو المحاسن بن عنين الدمشقي الآتي ذكره في حرف الميم، ومدحه بغرر القصائد فأحسن إليه وأجزل صلته، واكتسب من جهته مالا وافرا، وخرج به من اليمن، فلما وصل إلى الديار المصرية وسلطانها يومئذ الملك العزيز عماد الدين عثمان ابن السلطان صلاح الدين ألزمه أرباب ديوان الزكاة بدفع الزكاة من المتاجر التي وصلت صحبته فعمل في ذلك:

ما كل من يتسمى بالعزيز لها
أهل ولا كل برق سحبه غدقه
بين العزيزين بون في فعالهما
هذاك يعطي وهذا يأخذ الصدقة

وكانت وفاة سيف الاسلام في شوال التاسع عشر من سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بالمنصورة، وهي مدينة اختطها باليمن رحمه الله تعالى.

وتولى بعده ولده الملك المعز فتح الدين اسماعيل، وللمعز المذكور صنف أبو الغنائم مسلم بن محمود بن نعمه بن أرسلان الشيزري كتابه الذي سماه «عجائب الأسفار وغرائب الأخبار» وأودع فيه من أشعاره وأخبار الناس كثيرا، وذكر العز بن عساكر أنه مات بالحمراء من بلاد

اليمن، وذكـر أبو الغنـائم المذكور في كتابـه الذي سماه « جمهـرة الاسلام ذات النثر والنظم» أنه مات بتعز ودفن بها بـالمدرسة، ثم قال: وقتل ولده فتح الديـن أبو الفداء اسماعيل في رجب سنـة ثمان وتسعين بمكان يقال له عجبي شامي زبيد، وتولى مكانه أخوه الملك الناصر أيوب.

وكان أبـو الغنائم المذكـور أديبا شـاعرا، وكـان موجـودا في سنة سبـع عشرة وستمائة، فقد تـوفي في هذه السنـة أو بعدها، وكـان أبوه أبـو الثناء محمود نحـويا متصـدراً بجامـع دمشق لاقـراء النحو، وذكـره الحافظ ابـن عساكـر في تاريخه الكبير، وذكره العماد الكـاتب في كتاب الخريـدة، وقال: تـوفي بعـد سنـة خمس وستين وخمسمائة، وقـال شرف الـديـن بـن عنين: أنشدني محمود المذكور لنفسه:

يقـــولـــون كـــافـــات الشتـــاء كثيرة
ومـــــاهـــــي إلا واحـــــد غير مفترى
إذا صـح كـاف الكيس فـالكـل حـاصـل
لـديـك وكـل الصيـد يـوجـد في الفـرا

وكان جده أرسلان مملوك ابن منقذ صاحب شيزر.

وطغتكين بضـم الطـاء المهملة، وسكـون الغين المعجمـة، وكسر التـاء المثناة مـن فوقهـا، والكاف وسكون اليـاء المثناة من تحتهـا، وبعدهـا نون، وهو اسم تركي.

أبو الغارات طلائع بن رزيك الملقب الملك الصالح وزير مصر

كان واليا بمنية بني خصيب من أعمال صعيد مصر، فلما قتل الظاهر اسماعيل صاحب مصر كما تقدم في حرف الهمزة، سير أهل القصر إلى الصالح واستنجدوا به على عباس وولده نصر المتفقين على قتله، فتوجه الصالح إلى القاهرة ومعه جمع عظيم من العربان فلما قربوا من البلد هرب عباس وولده وأتباعهما ومعهما أسامة بن منقذ المذكور في حرف الهمزة أيضا، لأنه كان مشاركا لهما في ذلك على مايقال، ودخل الصالح إلى القاهرة وتولى الوزارة في أيام الفائز، واستقل بالأمور وتدبير أحوال الدولة، وكانت ولايته في التاسع عشر من شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وخمسمائة، وكان فاضلا سمحا في العطاء، سهلا في اللقاء، محبا لأهل الفضائل جيد الشعر، وقفت على ديوان شعره وهو في جزأين ومن شعره قوله:

كم ذا يرينا الدهر من أحداثه
عبرا وفينا الصد والإعراض
ننسى الممات وليس يجري ذكره
فينا فتذكرنا به الأمراض

ومن شعره أيضا:

ومهفهف ثمل القوام سرت إلى
أعطافه النشوات من عينيه
ما ضي اللحاظ كأنما سلت يدي
سيفي غداة الروع من جفنيه
قد قلت إذ خط العذار بمسكة
في خده ألفيه لا ميه
ما الشعر دب بعارضيه وإنما
أصداغه نفضت على خديه

الناس طوع يدي وأمري نافذ
فيهم وقلبي الآن طوع يديه
فأعجب لسلطان يعم بعدله
ويجور سلطان الغرام عليه
والله لولا اسم الفرار وأنه
مستقبح لفررت منه إليه

وروى عنه أبو الحسن علي بن ابراهيم بن نجا بن غنائم الأنصاري الملقب زين الدين الحنبلي، المعروف بابن نجية الواعظ المشهور الدمشقي، قال أنشدني طلائع بن رزيك لنفسه بمصر:

مشيبك قد نضا صبغ الشباب
وحل البازي وكر الغراب
تنام ومقلة الحدثان يقظى
وما ناب النوائب عنك نابي
وكيف بقاء عمرك وهو كنز
وقد أنفقت منه بلا حساب

وكان المهذب عبد الله بن أسعد الموصلي نزيل حمص قد قصده من الموصل، ومدحه بقصيدته الكافية التي أولها:

أما كفاك تلافي في تلافيكا
ولست تنقم الا فرط حبيكا

وهي من نخب القصائد ومخلصها:

وفيم تغضب إن قال الوشاة سلا
وأنت تعلم أني لست أسلوكا
لانلت وصلك إن كان الذي زعموا
ولاشفى ظمئي جودا بن رزيكا

وهي طويلة طائلة، ولولا خوف الاطالة لكتبتها.

ولما مات الفائز وتولى العاضد مكانه،استمر الصالح على وزارته، وزادت حرمته، وتزوج العاضد ابنته فاغتر بطول السلامة، وكان العاضد تحت قبضته وفي أسره، فلما طال عليه ذلك أعمل الحيلة في قتله، فاتفق مع قوم من أجناد الدولة يقال لهم أولاد الراعي، وتقرر ذلك بينهم، وعين لهم موضعا في القصر يجلسون فيه مستخفين فإذا مر بهم الصالح ليلا أو نهارا قتلوه، فقعدوا له ليلة وخرج من القصر فقاموا ليخرجوا إليه، فأراد أحدهم أن يفتح غلق الباب فأغلقه وماعلم، فلم يحصل مقصودهم تلك الليلة لأمر أراده الله تعالى في تأخير الأجل، ثم جلسوا له يوما آخر فدخل القصر نهارا فوثبوا عليه وجرحوه جراحات عديدة بعضها في رأسه، ووقع الصوت، فعاد أصحابه إليه فقتلوا الذين جرحوه وحمل إلى داره مجروحا ودمه يسيل، وأقام بعض يوم ومات يوم الاثنين تاسع عشر رمضان سنة ست وخمسين وخمسمائة، رحمه الله تعالى، وكانت ولادته في سنة خمس وتسعين وأربعمائة، وخرجت الخلع لولده العادل محيي الدين رزيك المقدم ذكره في ترجمة شاور يوم الثلاثاء ثاني يوم وفاة أبيه، وكنيته أبو شجاع، ولما تولى الوزارة لقبوه العادل الناصر، ولما مات رثاه الفقيه عمارة اليمني بقصيدة أولها:

أفي أهل ذا النادي عليم أسائله
فإني لما بي ذاهب اللب ذاهله

سمعت حديثا أحسد الصم عنده
ويذهل واعيه ويخرس قائله
فهل من جواب يستغيث به المنى
ويعلو على حق المصيبة باطله
وقد رابني من شاهد الحال أنني
أرى الدست منصوبا ومافيه كافله
فهل غاب عنه واستناب سليله
أم اختار هجرا لا يرجى تواصله

فـــإني أرى فـــوق الـــوجـــوه كـــآبـــة
تـــدل على أن الـــوجـــوه ثـــواكلـــه

ومنها:

دعـــــوني فما هـــــذا أوان بكـــــائه
سيـــأتيكـــم طـــل البكـــاء ووابلـــه
ولا تنكـــروا حـــزني عليـــه فـــإننـــي
تقشـــع عنـــي وابـــل كنـــت آملـــه
ولم لا نبكيـــــه وننـــــدب فقـــــده
وأولادنـــــا أيتـــــامـــــه وأراملـــــه
فيـــا ليـــت شعـــري بعـــد حســـن فعـــالـــه
وقـــد غـــاب عنـــا مـــابنـــا الله فـــاعلـــة
أيكـــرم مثـــوى ضيفكـــم وغـــريبكـــم
فيمكـــث أم تطـــوى ببين مـــراحلـــه

وهي طـويلة، وكان قـد دفن بالقـاهرة، ثـم نقله ولده العـادل من دار الوزارة التـي دفن فيهـا وهي المعـروفة بـانشاء الأفضـل شاهنشـاه المقدم ذكـره، وكـان نقله في تـاسـع عشر صفـر سنـة سبع وخمسين في تـابـوت، وركب خلفـه العاضـد إلى تربتـه التي بـالقرافـة الكبرى، فعمل في ذلـك الفقيـه عمارة أيضـا قصيدة طـويلـة وأجـاد فيهـا، ومن جملتهـا في صفـة التابوت:

وكـــأنـــه تـــابـــوت مـــوســـى أودعـــت
في جـــــانبيـــــه سكينـــــة ووقـــــار

وله فيـه مراث كثيرة، وهذا الصـالح هـو الذي بنى الجامـع الذي على باب زويلة بظاهـر القاهرة، وأما ولده العادل رزيـك فقد ذكرت في ترجمة شاور تاريخ هربه من القاهرة وكـان قد حمل معه من الذخائر مالايحصى ومعـه أهلـه وحـاشيتـه، واستجـار بسليمان وقيـل بيعقـوب بـن البيـض

اللخمي، وكان من خواص أصحابهم وحصل من جهتهم نعمة وافرة، فأنزلهم عنده وهو بأطفيح، وسار من ساعته إلى شاور وأعلمه بهم، فندب معه جماعة ومضوا إلى العادل وأخذوه أسيرا وأحضروه إلى باب شاور، فوقف زمانا طويلا، ثم حبسه ثم قال شاور لابن البيض: لقد خبأك الصالح ذخيرة صالحة لولده، وأنا أخبوك أيضا لولدي ثم شنقه، وبقي العادل في الاعتقال مدة مديدة، ثم قتله وأخرج رأسه لأمراء الدولة.

ومن العجائب أن الصالح ولي الوزارة في التاسع عشر، وقتل في التاسع عشر، ونقل تابوته في التاسع عشر، وزالت دولتهم في التاسع عشر، ورزيك بضم الراء، وتشديد الزاء المكسورة، وسكون الياء المثناة من تحتها، وبعدها كاف.

وكانت ولادة زين الدين الواعظ المذكور سنة ثمان وخمسمائة بدمشق، ونشأ بها، وقدم بغداد مرارا، وصاهر أبا الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل بن سعد البلنسي الانصاري الاندلسي على ابنته أم عبد الكريم فاطمة، وانتقل قبل وفاته إلى مصر وحدث بها، وتوفي يوم الاربعاء ثامن رمضان سنة تسع وتسعين وخمسمائة بمصر، وهو المعروف بابن نجية رحمه الله تعالى.

الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب

كان نائبا عن أبيه في الديار المصرية، لما كان أبوه بالشام، وتوفي أبوه بدمشق، فاستقل بملكها باتفاق من الأمراء كما هو مشهور، فلا حاجة إلى شرحه وكان ملكا مباركا كثير الخير، واسع الكرم محسنا إلى الناس، معتقدا في أرباب الخير والصلاح، وسمع بالاسكندرية الحديث من الحافظ السلفي، ويقال إن والده كان يؤثره على بقية أولاده، ولما ولد له الملك المنصور ناصر الدين محمد، كان والده بالشام، والقاضي الفاضل بالقاهرة فكتب إليه يهنئه:« المملوك يقبل الأرض بين يدي مولانا الملك الناصر دام رشده وإرشاده وزاد سعده وإسعاده، وكثرت أولياؤه وعبيده وأعداده، واشتد باعضاده فيهم اعضاده، وأنمى الله عدده حتى يقال هذا آدم الملوك، وهذه أولاده، وينهى أن الله تعالى، وله الحمد رزق الملك العزيز عز نصره ولدا مباركا عليا ذكرا سريا برا زكيا نقيا من ذرية كريمة بعضها من بعض، وبيت شريف كادت ملوكه تكون ملائكة في السماء، ومماليكه ملوكا في الأرض».

وكانت ولادة الملك العزيز بالقاهرة في ثامن جمادى الأولى سنة سبع وستين وخمسمائة، وكان قد توجه إلى الفيوم، فطرد فرسه وراء صيد، فتقنطر به فأصابته الحمى من ذلك، وحمل إلى القاهرة فتوفي بها في الساعة السابعة من ليلة الأحد العشرين من المحرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة رحمه الله تعالى.

نقلت من خط القاضي الفاضل فصلا يتعلق بالملك العزيز بن صلاح الدين رحمه الله تعالى، مامثاله:« لما كان يوم السبت تاسع عشر المحرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة اشتد المرض بالملك العزيز، وخيف عليه، وأدركه في ليله فواق وأخذ نبضه في الضعف، وأصبح الطبيب على ياس

منه، ثم لما كان وقت الظهر وقعت البشرى أنه أفاق وحضر ذهنه، وكلم من حوله، وحضر إليه الأمراء والخواص» ثم قال بعد ذلك:« إلى أن كان وقت العتمة من ليلة الأحد فبدت قوته تصغر، والفواق يشتد، وبغته الأمر، وعظمت الحمى، وصغر النبض، وكثر عليه الغشي وكانت وفاته في الساعة السابعة من ليلة الأحد، ولما كان في آخر الليل خرج فخر الدين جهاركس، وأسد الدين سراسنقر وجماعة من المماليك واستدعوا الأمراء فأحضرت، وأعلمت بوفاته، وقال المذكورون: إنا قد اجتمعت كلمتنا على أن يكون ولد العزيز الأكبر، وتقدير عمره عشر سنين واسمه محمد، ولقبه ناصر الدين المنتصب في السلطنة، والقائم بالأمر، وأن يكون أتابكه بهاء الدين قراقوش، وقالوا قد كان السلطان استناب هذا الولد، واستخلف على تربيته قراقوش، ونريد أن نجمع الأمراء ونخرج الخدام يبلغونهم رسالة عن السلطان، وأنه حي ومعنى الرسالة: إن هذا ولدي سلطانكم من بعدي، فاحلفوا له واحفظوني فيه، فقلت لهم: فإن طالبكم الأمراء بسماع هذه المقالة من السلطان ماالذي تقولون لهم؟ فرجعوا إلى أن يخاطبوا الأمراء إذا حضروا بأن السلطان وصى بهذه الوصية، وأنه قد قضى ويدخلون عليهم من جانب الموافاة لجد هذا الصبي وأبيه، فقلت لهم: لاتنتظروا اجتماع الأمراءفإنهم إن حضروا جملة فلا تأمنوا أن يتمنعوا جملة، بل كل من حضر من الأمراء تقولون له قد اتفقنا فكن معنا، وقد حلفنا، فاحلف كما حلفنا، وقدموا المصحف وأسرعوا في تلقينه، فجرى الأمر على هذا، فلما تكامل الحلف أو أكثره أحضروا الولد، فبكى الناس لما رأوه وصاحوا وقاموا إليه ووقفوا بين يديه، جميع ذلك قبل أن يسفر صباح الأحد، ثم صليت فريضة الفجر، وشرعوا في تجهيز الملك العزيز إلى قبره، وغسل في مكان موته، واجتمع الناس فيما بين الظهر والعصر للصلاة عليه، وكثر الزحام وقامت الواعية، فلم يخلص من دفنه إلى قريب المغرب، وخوطب ولده بالملك الناصر بلقب جده في هذا اليوم»،ولما مات كتب القاضي الفاضل إلى عمه الملك العادل رسالة

يعزيه من جملتها:« فنقول في توديع النعمة بالملك العزيز لاحول ولاقوة إلا بالله قول الصابرين، ونقول في استبقائها بالملك العادل الحمد لله رب العالمين قول الشاكرين ، وقد كان من أمر هذه الحادثة ماقطع كل قلب، وجلب كل كرب، ومثل وقوع هذه الواقعة لكل أحد ولاسيما لأمثال المملوك، ومواعظ الموت بليغة وأبلغها ماكان في شباب الملوك، فرحم الله ذلك الوجه ونضره ثم السبيل إلى الجنة يسره.

وإذامحاسن أوجه بليت
فعفا الثرى عن وجهه الحسن

والمملوك في حال تسطير هذه الخدمة جامع بين مرضي قلب وجسد،ووجع أطراف وغليل كبد، فقد فجع المملوك بهذا المولى، والعهد بوالده غير بعيد، والأسى في كل يوم جديد، وماكان لينـدمل ذلك القرح حتى أعقبه هذا الجرح، فالله تعالى لايعدم المسلمين بسلطانهم الملك العادل السلوة،كما لم يعدمهم بنبيهم صلى الله عليه وسلم الأسوه» ودفن في القرافة الصغرى في قبة الإمام الشافعي رضي الله عنه، وقبره معروف هناك.

أبو هاشم علي الملقب الظاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم ابن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله صاحب مصر.

وقد تقدم ذكر جماعة من أهل بيته.كانت ولايته بعد فقد أبيه بمدة،لأن أباه فقد في السابع والعشرين من شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة، كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى، وكان الناس يرجون ظهوره ويتبعون آثاره إلى أن تحققوا عدمه، فأقاموا ولده المذكور في يوم النحر من السنة المذكورة، وكانت مملكته الديار المصرية وإفريقية وبلاد الشام، فقصد صالح بن مرداس الكلابي مدينة حلب وحاصرها، وفيها مرتضى الدولة بن لؤلؤ الجراحي غلام أبي الفضائل بن شريف بن سيف الدولة الحمداني، نيابة عن الظاهر المذكور، فانتزعها منه واستولى على مايليها، وتغلب حسان بن مفرج بن دغفل البدوي صاحب الرملة على أكثر بلاد الشام، وتضعضعت دولة الظاهر وجرت أمور وأسباب يطول شرحها، واستوزر نجيب الدولة أبا القاسم علي بن أحمد الجرجرائي، وكان أقطع اليدين من المرفقين، قطعمها الحاكم والد الظاهر في شهر ربيع الآخر سنة أربع وأربعمائة على باب القصر البحري بالقاهرة المحروسة، وحمل إلى داره، وكان يتولى بعض الدواوين، فظهرت عليه خيانة قطع بسببها، ثم بعد ذلك ولي ديوان النفقات سنة تسع وأربعمائة، ثم وزر للظاهر سنة ثماني عشرة وأربعمائة، وهذا كله بعد ان تنقل في الخدم بالأرياف والصعيد، ولما استوزر كان يكتب عنه العلامة القاضي أبو عبد الله القضاعي صاحب كتاب الشهاب، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى، وكانت علامته:« الحمد لله شكرا لنعمته» واستعمل في وزارته العفاف والأمانة الزائدة والاحتراز والتحفظ، وفي ذلك يقول جاسوس الفلك:

يا أحمقا اسمع وقل
ودع الرقاعة والتحامق

أأقمـــــت نفســـــك في الثقـــــا
ت وهبـــــك فيما قلـــــت صـــــادق

فمـــــن الأمـــــانـــــة والتقـــــى
قطعـــــت يـــــداك مـــــن المرافـــــق

وهـو منسوب إلى جـرجرايـا بفتح الجيمين، بينهما راء سـاكنة، ثـم راء مفتوحـة، وبين الألفين ياء مثناة من تحتهـا، وهي قرية مـن أرض العراق، وكـانت ولادة الظـاهـر في يوم الأربعـاء عـاشر شهـر رمضان سنـة خمس وتسعين وثلاثمائة بـالقاهرة، وتـوفي آخر ليلـة الأحد منتصف شعبـان سنة سبـع وعشريـن وأربعمائة، رحمه الله تعـالى، وسمعـت أنـه تـوفي ببستـان الدكة، وكان بـالمقس في الموضع المعروف بالدكـة، وتوفي وزيره الجرجرائي سنة سـت وثلاثين وأربعمائة في سابع شهـر رمضان، وكانت مـدة وزارته للظاهر وولده المستنصر سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وثمانية عشر يوما.

أبو القاسم عيسى الملقب الفائز بن الظافر بن الحافظ ابن محمد بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز ابن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي.

وقد تقدم ذكر والده، وجماعة من أهل بيته وكيف قتل نصر بن عباس أباه حسبما شرح هناك، وهذا نصر ابن عباس هو الذي قتل العادل بن السلار، وقد رفعت هناك نسبه، فمن أراد معرفته، فلينظر هناك، ولما كان صبيحة ليلة قتل فيها الظافر أقبل عباس إلى القصر على جاري عادته في الخدمة، وأظهر عدم الاطلاع على قضيته، وطلب الاجتماع به ولم يكن أهل القصر قد علموا بقتله بعد، فإنه خرج من عندهم في خفية كما ذكر ثم، وما علم أحد بخروجه، فدخل الخدم إلى موضعه ليستأذنوا العباس، فلم يجدوه فدخلوا إلى قاعة الحرم فقيل إنه لم يبت ههنا، وحاصل الأمر أنهم تطلبوه في جميع مظانه في القصر فلم يقعوا له على خبر، فتحققوا عدمه فأخرج عباس المذكور أخوي الظافر وهما جبريل ويوسف، وهو أبو العاضد المقدم ذكره في جملة من اسمه عبد الله وقال لهما: أنتما قتلتما إما منا ومانعرف حاله إلا منكما، فأصرا على الإنكار، وكانا صادقين في ذلك فقتلهما في الوقت لينفي عن نفسه وابنه التهمة، ثم استدعى ولده الفائز المذكور، وتقدير عمره خمس سنين وقيل سنتان، فحمله على كتفه ووقف في صحن الدار وأمر أن تدخل الأمراء، فدخلوا فقال لهم: هذا ولد مولاكم، وقد قتل عماه أباه، وقد قتلتهما به كما ترون، والواجب اخلاص الطاعة لهذا الطفل، فقالوا بأجمعهم: سمعنا وأطعنا، وصاحوا صيحة واحدة اضطرب منها الطفل وبال على كتف عباس، وسموه الفائز وسيروه إلى أمه واختل من تلك الصيحة، فصار يصرع في كل وقت ويختلج، وخرج عباس إلى داره ودبر الأمور، وانفرد بالتصرف ولم يبق على يده، يد، وأما أهل القصر فإنهم اطلعوا على باطن الأمر وأخذوا في إعمال الحيلة في قتل عباس وابنه نصر، وكاتبوا الصالح بن رزيك الأرمني المذكور في حرف الطاء، وكان اذ ذاك والي منية ابن خصيب

بـالصعيد، وسـألوه الانتصـار لهم ولمولاهـم، والخروج على عباس وقطعـوا شعورهـم وسيروها في طي الكتاب، وسـودوا الكتاب، فلما وقف الصـالح عليه أطلـع من حـوله من الأجنـاد وتحدث معهم في المعنـى فأجـابوا إلى الخروج معه، واستمال جمعـا من العـرب، وساروا قـاصديـن القاهـرة، وقد لبسوا السواد فلما قـاربوها خرج إليهـم جميع من بها من الأمـراء والاجناد والسودان، وتـركوا عبـاسا وحـده، فخرج عبـاس في ساعتـه من القـاهرة هاربا ومعه شيء من ماله، وخرج معه ولـده نصر قاتل الظافر وأسامة بن منقـذ المذكور في حـرف الهمـزة، فقد قيـل أنـه الـذي أشار عليهما بقتـل الظافـر، وشرح ذلك يطول ، وقد تقـدم في ترجمة العادل بن السـلار ذكره ايضا وأنـه الذي أشـار بقتله، والله العـالم بالخفيـات، وكان معهـم جماعة يسيرة من أتبـاعهم، وقصدوا طريـق الشام على إيلة وذلـك في رابع عشر شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وخمسمائة.

أما الصالح بن رزيك فإنه دخـل القاهرة بغير قتال، وماقدم شيئاً على النزول بدار عباس المعروفة بدار المأمون بـن البطائحي، وهي اليوم مدرسة للطائفة الحنفيـة،وتعرف بالسيوفيـة، واستحضر الخادم الصغير الذي كان مع الظافر ساعـة قتله، وسأله عن الموضع الذي دفن فيـه فعرفه به، وقلع البلاطـة التي كانت عليـه وأخرج الظافـر ومن معه من المقتـولين، وحملوا وقطعـت لهم الشعور وانتشر البكـاء والنـواح في البلـد، ومشى الصـالـح والخلق قـدام الجنازة إلى موضع الـدفن، وهو تـربة آبائه، وهي معـروفة في قصرهم، وتكفل الصالح بالصغير، ودبر أحواله.

وأما عباس فـإن أخت الظافر كـاتبت فرنج عسقـلان بسببه، وشرطت لهم مـالا جزيـلا إذا أمسكـوه فخرجـوا عليـه وصادفـوه فتـواقعوا وقتلـوا عباسـا، وأخذوا مالـه وولده وانهزم بعض اصحـابه، إلى الشام وفيهـم ابن منقذ، فسلموا، وسيرت الفرنج نصر بن عباس إلى القاهرة تحت الحوطة في قفص حـديد، فلما وصل تسلـم رسولهم مـاشرطوا لهم من المال، فـأخذوا

نصرا المذكور وضربوه بالسياط، ومثلوا به وصلبوه بعد ذلك على باب زويلة، ثم أنزلوه يوم عاشوراء من سنة إحدى وخمسين وخمسمائة، وأحرقوه. هذه خلاصة الواقعة وإن كان فيها طول.

وكان دخول نصر بن عباس إلى القصر بالقاهرة في السابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة خمسين وخمسمائة، وأخرج من القصر يوم الاثنين سادس عشر شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة، وكان قد قطعت يده اليمنى، وقرضوا جسمه بالمقاريض، والله أعلم، وقيل كان ذلك اليوم يوم الجمعة ثامن الشهر المذكور، ولم تطل مدة الفائز في ولايته، وكانت ولادته يوم الجمعة لتسع بقين من المحرم سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وتولى في تاريخ وفاة والده وهو مذكور في ترجمته في حرف الهمزة، واسمه اسماعيل وتوفي ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين وخمسمائة رحمه الله تعالى، وتولى بعده العاضد، وقد سبق ذكره وهو آخرهم.

الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب صاحب دمشق.

كان عالي الهمة، حازما شجاعا مهيبا فاضلا جامعا شمل أرباب الفضائل، محبا لهم، وكان حنفي المذهب متعصبا لمذهبه، وله فيه مشاركة حسنة، ولم يكن في بني أيوب حنفي سواه، وتبعه أولاده، وكان قد حج إلى بيت الله الحرام في سنة إحدى عشرة وستمائة، سار من الكرك على الهجن في حادي عشر ذي القعدة في جماعة من خواصه، وسلك طريق العلا وتبوك، وفي هذه السنة أخذ المعظم صرخد من ابن قراجا، وأعطاها مملوكه عز الدين أيبك المعروف بصاحب صرخد، ولم يزل بها إلى أن أخذها منه الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل في سنة أربع وأربعين وستمائة، وحمله إلى القاهرة واعتقله بدار الطواشي صواب.

وكان المعظم يحب الأدب كثيرا، ومدحه جماعة من الشعراء المجيدين فأحسنوا في مدحه، وكانت له رغبة في فن الأدب، وسمعت أشعارا منسوبة إليه ولم اتثبتها فلم أثبت منها شيئا، وقيل إنه كان قد شرط لكل من يحفظ المفصل للزمخشري مائة دينار وخلعة، فحفظه لهذا السبب جماعة، ورأيت بعضهم بدمشق، والناس يقولون إنه كان سبب حفظهم له هذا، وقيل إنه لما توفي كان قد انتهى بعضهم إلى أواخره، وبعضهم إلى أثنائه وهم على قدر أوقات شروعهم فيه، ولم أسمع مثل هذه المنقبة لغيره، وكانت مملكته متسعة من حدود بلاد حمص إلى العريش، يدخل في ذلك بلاد الساحل الاسلامية منها وبلاد الغور وفلسطين والقدس والكرك والشوبك وصرخد وغير ذلك، وكانت ولادته في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة.

وذكر أبو المظفر يوسف سبط ابن الجوزي في تاريخه مرآة الزمان أن المعظم ولد في سنة ست وسبعين وخمسمائة بالقاهرة، وولد أخوه الأشرف

موسى قبله بليلة واحدة، وتوفي المعظم ليلة مستهل ذي الحجة سنة أربع وعشرين وستمائة، والله أعلم بالصواب.

وقال غيره: بل توفي يوم الجمعة ثامن ساعة من نهار سلخ ذي القعدة سنة أربع وعشرين وستمائة بدمشق، ودفن بقلعتها، ثم نقل إلى جبل الصالحية ودفن في مدرسة هناك بها قبور جماعة من أخوته، وأهل بيته تعرف بالمعظمية، وكان نقله ليلة الثلاثاء مستهل المحرم سنة سبع وعشرين، وكان كثيرا ماينشد هذا المقطوع:

ومورد الوجنات أغيد خاله
بالحسن من فرط الملاحة عمه
كحل العيون وكان في أجفانه
كحل فقلت سقى الحسام وسمه

وهذا ينظر إلى قول عبد الجبار بن حمديس الصقلي المقدم ذكره:

زادت على كحل العيون تكحلا
وبسم نصل السيف وهو قتول

رحمه الله تعالى،فلقد كان من النجباء الأذكياء، أخبرني جماعة عن شرف الدين بن عنين بأمور كانت تجري بينهما، تدل على حسن الإدراك وإصابة القصد، منها أنه كان ابن عنين قد مرض فكتب إليه:

انظر إلي بعين مولى لم يزل
يولي الندى وتلاف قبل تلافي
أنا كالذي أحتاج مايحتاجه
فاغنم ثوابي والثناء الوافي

فجاء بنفسه إليه يعوده ومعه صرة فيها ثلاثمائة دينار فقال: هذه الصبلة، وأنا العائد، وهذه لو وقعت لأكابر النحاة ومن هو في ممارسته

طول عمره لاستعظم منه لاسيما مثل هذا الملك، وأشياء كثيرة غير هذه يطول شرحها، وكان المقصود ذكر نموذج منها ليستدل به على الباقي.

وتولى موضعه ولده الملك الناصر صلاح الدين داود، وتوفي في السابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ست وخمسين وستمائة في قرية يقال لها البويضا على باب دمشق ودفن عند والده، وكانت ولادته يوم السبت سابع عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وستمائة بدمشق، وتوفي عز الدين أيبك صاحب صرخد المذكور في أوائل جمادى الأولى من سنة ست وأربعين وستمائة، في موضع اعتقاله بالقاهرة، ودفن خارج باب النصر في مدرسة شمس الدولة، وحضرت الصلاة عليه ودفنه ثم نقل إلى تربته في مدرسته التي أنشأها ظاهر دمشق على الشرف الأعلى مطلة على الميدان الأخضر الكبير.

الفقيه أبو محمد عيسى بن محمد بن أحمد بن يوسف ابن القاسم بن عيسى بن محمد بن القاسم بن محمد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

هكذا أملى علي نسبه ولد ولد أخيه، ويقال له الهكاري الملقب ضياء الدين.كان أحد الأمراء بالدولة الصلاحية، كبير القدر وافر الحرمة، معولا عليه في الآراء والمشورات، وكان في مبدأ أمره يشتغل بالمدرسة الزجاجية بمدينة حلب، فاتصل بالأمير أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين المقدم ذكره، وصار إمامه يصلي به الفرائض الخمس، ولما توجه الأمير أسد الدين إلى الديار المصرية، وتولى الوزارة بها كما سبق شرحه، كان في صحبته.

ولما توفي أسد الدين اتفق الفقيه عيسى المذكور والطواشي بهاء الدين قراقوش الآتي ذكره إن شاء الله تعالى، على ترتيب السلطان صلاح الدين موضعه في الوزارة، ودققا في الحيلة في ذلك حتى بلغا المقصود، وشرح ذلك يطول، فلما تولى صلاح الدين رأى له ذلك، واعتمد عليه ولم يكن يخرج عن رأيه، وكان كثير الادلال عليه يخاطبه بمالا يقدر عليه غيره من الكلام، وكان واسطة خير للناس،نفع بجاهه خلقا كثيرا، ولم يزل على مكانته وتوفر حرمته إلى أن توفي يوم الثلاثاء عند طلوع الشمس التاسع من ذي القعدة سنة خمس وثمانين وخمسمائة بالمخيم بمنزلة الخروبة، ثم نقل إلى القدس ودفن بظاهرها رحمه الله تعالى، وكان يلبس زي الأجناد، ويعتم بعمائم الفقهاء، فيجمع بين اللباسين، ورأيت أخاه الأمير مجد الدين أبا حفص عمر أيضا على هذه الصفة، والخروبة بفتح الخاء المعجمة وتشديد الراء وضمها وسكون الواو وفتح الباء الموحدة، وبعدها هاء ساكنة، موضع بالقرب من عكا.

وكـانت ولادة أخيـه مجد الديـن عمـر في رجب سنـة ستين وخمسمائة، وتـوفي في الثالـث والعشرين مـن ذي الحجة سنـة ست وثـلاثين وستمائة بالقاهرة، ودفن بسفح المقطم وحضرت الصلاة عليه رحمه الله تعالى.

obeikandl.com

سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر صاحب الموصل.

وقد تقدم ذكر والده في حرف الزاء وأنه قتل على حصار قلعة جعبر، فلما قتل وكان معه ألب أرسلان ابن السلطان محمود المعروف بالخفاجي السلجوقي المذكور في ترجمة عماد الدين زنكي، اجتمع أكابر الدولة وفيهم الوزير جمال الدين محمد الأصبهاني المعروف بالجواد، والقاضي كمال الدين أبو الفضل محمد الشهرزوري، وسيأتي ذكرهما إن شاء الله تعالى، وقصدوا خيمة ألب أرسلان المذكور، وقالوا له: كان عماد الدين زنكي غلامك ونحن غلمانك، والبلاد لك وصمتوا الناس بهذا الكلام، ثم إن العسكر افترق فرقتين، فطائفة منهم توجهت صحبة نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي الآتي ذكره، إن شاء الله تعالى إلى الشام، والطائفة الثانية سارت مع ألب أرسلان وعساكر الموصل وديار ربيعة إلى الموصل، فلما انتهوا إلى سنجار تخيل ألب أرسلان منهم الغدر فتركهم، وهرب فلحقه بعض العسكر وردوه، فلما وصلوا إلى الموصل وصلهم سيف الدين غازي المذكور، وكان مقيما بشهرزور لأنها كانت إقطاعة من جهة السلطان مسعود السلجوقي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى، فلما استقر بالموصل قبض على ألب أرسلان المذكور، وسيره إلى بعض القلاع وملك الموصل، وماكان لأبيه من ديار ربيعة، وترتبت أحواله، وأخذ أخوه نور الدين محمود وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى حلب وماوالاها من بلاد الشام، ولم تكن دمشق يومئذ لهم، وكان غازي المذكور منطويا على خير وصلاح، يحب العلم وأهله وبنى بالموصل مدرسته المعروفة بالعتيقة، ولم تطل مدته في المملكة حتى توفي آخر جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وقد قارب من العمر أربعين سنة، ودفن في مدرسته المذكورة رحمه الله تعالى، وتولى بعده أخوه قطب الدين مودود، وسيأتي ذكره في حرف الميم إن شاء الله تعالى.

سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي بن اق سنقر صاحب الموصل.

وهو ابن أخي المذكور قبله، تقلد المملكة بعد وفاة أبيه مودود، وهو والد سنجرشاه صاحب جزيرة ابن عمر، ولما توفي والده في التاريخ الآتي ذكره في ترجمته بلغ الخبر نور الدين وهو بتل باشر، فسار من ليلته طالبا بلاد الموصل، فوصل إلى الرقة في المحرم سنة ست وستين وخمسمئة، وملكها، وسار منها إلى نصيبين فملكها في بقية الشهر، وأخذ سنجار في شهر ربيع الآخر منها، ثم قصد الموصل، وقصد أن لايقاتلها فعبر بعسكره من مخاضة بلد وهي بلدة بقرب الموصل، وسار حتى خيم قبالة الموصل، وراسل ابن أخيه سيف الدين المذكور وعرفه صحة قصده فصالحه، ودخل الموصل في ثالث عشر جمادى الأولى، وأقر صاحبها فيها، وزوجه ابنته وأعطى أخاه عماد الدين زنكي المذكور في ترجمة جده عماد الدين زنكي سنجار، وخرج من الموصل، وعاد إلى الشام ودخل حلب في شعبان من السنة المذكورة، ولما مات نور الدين، وملك صلاح الدين دمشق ونزل على حلب يحاصرها، سير سيف الدين المذكور جيشا مقدمه أخوه عز الدين مسعود الآتي ذكره إن شاء الله تعالى،والتقوا عند قرون حماة، وسيأتي تفصيل ذلك هناك، فلما انكسرعز الدين مسعود تجهز سيف الدين بنفسه، وخرج إلى لقائه، وتصافا على تل السلطان وهي قرية بين حلب وحماة، وذلك في بكرة الخميس عاشر شوال سنة إحدى وسبعين وخمسمائة.

قال العماد الأصبهاني في البرق الشامي، وابن شداد في سيرة صلاح الدين إنه انكسرت ميسرة صلاح الدين بمظفر الدين بن زين الدين فإنه كان في ميمنة سيف الدين، ثم حمل صلاح الدين بنفسه، فانهزم جيش سيف الدين وعاد إلى حلب، ثم رحل إلى الموصل، ومظفر الدين المذكور هو صاحب إربل، وترجمته في حرف الكاف وأقام غازي في المملكة عشر

سنين وشهورا، وأصابه مرض مزمن وتوفي يوم الأحد ثالث صفر سنة ست وسبعين وخمسمائة رحمه الله تعالى، وتولى بعده عز الدين مسعود، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى، وكان مرضه السل، وطال به وعاش مقدار ثلاثين سنة.

obeikandl.com

أبو الفتح غازي ويكنى أبا منصور أيضا ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الملقب الملك الظاهر غياث الدين صاحب حلب.

كان ملكا مهيبا حازما متيقظا،كثير الاطلاع على أحوال رعيته، وأخبار الملوك، عالي الهمة حسن التدبير والسياسة باسط العدل،محبا للعلماء مجيزا للشعراء، أعطاه والده مملكة حلب في سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة، بعد أن كانت لعمه الملك العادل، فنزل عنها وتعوض غيرها كما قد شهر، ويحكى عن سرعة ادراكه أشياء حسنة، منها أنه جلس يوما لعرض العسكر، وديوان الجيش بين يديه، وكان كلما حضر أحد من الأجناد سأله الديوان عن اسمه لينزلوه حتى حضر واحد فسألوه عن اسمه، فقبل الأرض فلم يفطن أحد من أرباب الديوان لما أراد، فعاودوا سؤاله، فقال الملك الظاهر: اسمه غازي، وكان كذلك، وتأدب الجندي أن يذكر اسمه لما كان موافقا لاسم السلطان، وعرف هو مقصوده، وله من هذا الجنس شيء كثير لاحاجة إلى التطويل فيه، وكانت ولادته بالقاهرة في منتصف رمضان سنة ثمان وستين وخمسمائة، وهي السنة الثانية من استقلال أبيه بمملكة الديار المصرية، وتوفي بقلعة حلب ليلة الثلاثاء العشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وستمائة، ودفن بالقلعة، ثم بنى الطواشي شهاب الدين طغريل الخادم أتابك ولده الملك العزيز مدرسته تحت القلعة، وعمر فيها تربة، ونقله إليها رحمه الله تعالى، والعجب أنه دخل حلب مالكا لها في الشهر بعينه، واليوم من سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة، ورثاه شاعره الشرف راجح بن اسماعيل بن أبي القاسم الأسدي الحلي، وكنيته أبو الوفاء بهذه القصيدة، ومدح ولديه السلطان الملك العزيز محمدا وأخاه الملك الصالح صاحب عين تاب، وماقصر فيها وهي:

مضى من أقام الناس في ظل عدله

وآمن من خطب تدب عقاربه
فكم من حمى صعب أباحت سيوفه
ومن مستباح قد حمته كتائبه
أرى اليوم دست الملك أصبح خاليا
أما فيكم من مخبر أين صاحبه
فمن سائل عن سائل الدمع لم جرى
لعل فؤادي بالوجيب يجاوبه
فكم من ندوب في قلوب نضيجة
بنار كروب أججتها نوادبه
أسلم ولم يحطم صدور رماحه
بذب ولم يثلم بضرب قواضبه
ولا اصطدمت عند الحتوف كماته
ولا ازدحمت بين الصفوف جنائبه
ولا سيم أخذ الثار يوم كريهه
يشق مثار النقع فيها سلاهبه
فيا ملبسي ثوبا من الحزن مسبلا
أيحسن بي أن التسلي سالبه
خدمتك روض المجد تصفو ظلاله
علي وحوض الجود تصفو مشاربه
وقد كنت تدنيني وترفع مجلسي
لمفروض مدح ما تعداك واجبه
فما بال اذني قد تمادى ولم يكن
إذا جئت يثنين عن الباب حاجبه
أرى الشمس أخفت يوم فقدك نورها
فلا كان يوما كاشف الوجه شاحبه
فكيف نبا سيف اعتزامك أو كبا
جواد من الحزم الذي أنت راكبه

سل الخطب إن أصغى إلى من يخاطبه
بمن علقت أنيابه ومخالبه
نشدتك عاتبه على نائباته
وإن كان ينأى السمع عمن يعاتبه
لي الله كم أرمي بطرفي ضلالة
إلى أفق مجد قد تهاوت كواكبه
فمالي أرى الشهباء قد حال صبحها
على دجى لا تستنير غياهبه
أحقا حمى الغازي الغياث بن يوسف
أبيح وعادت خائبات مواكبه
نعم كورت شمس المدائح وانطوت
سماء العلا والنجح ضاقت مذاهبه
فمن مخبري عن ذلك الطود هل وهت
قواعده أم لان للخطب جانبه
أجل ضعضعت بعد الثبات زعزعت
بريح المنايا العاصفات مناكبه
وغيض ذاك البحر من بعد ما طمت
وطمت لغيبان البلاد غواربه
فشلت يمين الخطب أي مهند
برغم العلا سلت وفلت مضاربه
لئن حبس الغيث الغياثي قطره
فقد سحبت في كل قطر سحائبه
فأنى يلذ العيش بعد ابن يوسف
أخو أمل أكدت عليه مطالبه
فلا أدركت نيل المنى طالباته
ولا بركت في أرض يمن ركائبه
ولا انتجعت إلا بعيس حقيبة
من الجدب لا تثني عليه حقائبه

فمن لليتامى يا غياث يغيثهم
إذا الغيث لم ينفع صدى العام ساكبه
ومن للملوك كنت ظلا عليهم
ظليلا إذا ما الدهر نابت نوائبه
أياتاركي ألقى العدو مسالما
متى ساء في بالجد قمت ألاعبه
سقت قبرك الغر الغوادي وجاده
من الغيث ساريه الملث وساربه
فإن يك نور من شهابك قد خبا
فياطالما جلى دجى الليل ثاقبه
فقد لاح بالملك العزيز محمد
صباح هدى كنا زمانا نراقبه
فتى لم يفته من أبيه وجده
إباء وجد غالبا من يغالبه
ومن كان في المسعى أبوه دليله
تدانى له الشأو الذي هو طالبه
وبالصالح استعلى صلاح الدين رعية
لها منه رعي ليس يقلع راتبه
فحسب الورى من أحمد ومحمد
مليكان من عاداهما ذل جانبه
هما احرزا علياء غازي بن يوسف
وماضيعا المجد الذي هو كاسبه
فافق الورى لولاهما كان أظلمت
مشارقه من بعده ومغاربه
ستحمي على رغم الليالي حماهما
عوالي قنا تردي الاسود ثعالبه
فكم من ملم جل موقع خطبه
فساءت مباديه وسرت عواقبه

فيـا قمـري سعـد أطـلا على الـدجـى
فـولى ومـا ألـوى على الأرض هـاربـه

أيمكـث في الشهبـاء عبـد أبيكما
ومـادحـه أم تستقـل نجـائبـه
فـإن شتتما بعـد الغيـاث أغثتما
مصـاب سهـام فـوقتهـا مصـائبـه
كـأن لم أقـف أجلـو التهـاني أمـامـه
وتضحـك في وجـه الأمـاني مـواهبـه
فهنئتما مـا نلتما وبقيتما
لاعـلاء ملـك سـاميـات مـراتبـه

وهذه القصيدة مع جودتها فيها مواضع مأخوذة من مرثية الفقيه عمارة اليمني في الصالح بن رزيك، وبعضها مذكور في ترجمة الصالح، وكأنه قد نسخ على منوالها فإنها على وزنها، وإن كان حرف الروي مختلفا، فقد استعمل بها الوصل كما استعمله عمارة، والظاهر أنه كان قد وقف عليها، فقصد مضاهاتها.

وقام بالأمر في مملكة حلب من بعده ولده الملك العزيز غياث الدين أبو المظفر محمد بن الملك الظاهر، ومولده يوم الخميس خامس ذي الحجة سنة عشر وستمائة بحلب، وتوفي بها يوم الأربعاء رابع شهر ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وستمائة، وكنت بحلب في ذلك الوقت، ودفن بالقلعة، وترتب مكانه ولده الملك الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف ابن الملك العزيز، واتسعت مملكته فإنه ملك عدة بلاد من الجزيرة الفراتية لما كسر الخوارزمية، وكان مقدم جيشه الملك المنصور صاحب حمص، وذلك في أواخر سنة إحدى وأربعين وأوائل سنة اثنتين وأربعين، ملك دمشق والبلاد الشامية يوم الأحد سابع عشر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وستمائة، ومولده بقلعة حلب في تاسع عشر رمضان

سنة سبع وعشرين وستمائة، وقصده التتر وملكوا الشام، فخرج من دمشق في صفر سنة ثمان وخمسين وقتل في الثالث والعشرين من شوال سنة ثمان وخمسين بالقرب من المراغة من أعمال أذربيجان على مانقل الناقل، والله أعلم، وقصته مشهورة.

وتوفي عمه الملك الصالح صلاح الدين أحمد بن الملك الظاهر صاحب عين تاب في شهر شعبان سنة إحدى وخمسين وستمائة،وكانت ولادته في صفر سنة ستمائة بحلب، ومات بعين تاب رحمهم الله تعالى أجمعين، وإنما قدموا العزيز، وهو الأصغر على أخيه الصالح، لأن أمه ضيفة خاتون بنت الملك العادل بن أيوب، فقدموه في الملك لأجل جده وأخواله أولاد العادل وأما الصالح فإن أمه جارية، وتوفي الشرف الحلي المذكور في ليلة السابع والعشرين من شعبان سنة سبع وعشرين وستمائة بدمشق، رحمه الله تعالى، ودفن بظاهرها بجوار مسجد النارنج شرقي مصلى العيد، ومولده في منتصف ربيع الآخر سنة سبعين وخمسمائة بالحلة، وهو من مشاهير شعراء عصره.

أبو سعيد قراقوش بن عبد الله الأسدي الملقب بهاء الدين

كان خادم صلاح الدين، وقيل خادم أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين، فأعتقه، وقد تقدم ذكره في ترجمة الفقيه عيسى الهكاري، ولما استقل صلاح الدين بالديار المصرية جعله زمام القصر، ثم ناب عنه مدة بالديار المصرية وفوض أمورها إليه، واعتمد في تدبير أحوالها عليه، وكان رجلا مسعوداً، وصاحب همة عالية، وهو الذي بنى السور المحيط بالقاهرة ومصر ومابينهما، وبنى قلعة الجبل وبنى القناطر التي بالجيزة على طريق الأهرام، وهي آثار دالة على علو الهمة، وعمر بالمقس رباطا على باب الفتوح بظاهر القاهرة خان سبيل، وله وقف كثير لايعرف مصرفه، وكان حسن المقاصد جميل النية، ولما أخذ صلاح الدين مدينة عكا من الفرنج سلمها إليه، ثم لما عادوا واستولوا عليها حصل أسيرا في أيديهم ويقال إنه افتك نفسه بعشرة آلاف دينار.

وذكر شيخنا القاضي بهاء الدين بن شداد في سيرة صلاح الدين أنه انفك من الأسر في يوم الثلاثاء حادي عشر شوال سنة ثمان وثمانين وخمسمائة، ومثل في الخدمة الشريفة السلطانية، ففرح به فرحا شديدا، وكان له حقوق كثيرة على السلطان وعلى الاسلام والمسلمين، واستأذن في المسير إلى دمشق ليحصل مال القطيعة، فأذن له في ذلك، وكان على ماذكر ثلاثين ألفا، والناس ينسبون إليه أحكاما عجيبةفي ولايته، حتى أن الأسعد بن مماتي المقدم ذكره له جزء لطيف سماه الفاشوش في أحكام قراقوش، وفيه أشياء يبعد وقوع مثلها منه، والظاهر أنها موضوعة، فإن صلاح الدين كان معتمدا في أحوال المملكة عليه، ولولا وثوقه بمعرفته وكفايته مافوضها إليه، وكانت وفاته في مستهل رجب سنة سبع وتسعين وخمسمائة بالقاهرة، ودفن في تربته المعروفة به بسفح المقطم رحمه الله تعالى بقرب البئر والحوض اللذين أنشأهما على شفير الخندق.

وقراقوش بفتح القاف والراء، وبعد الألف قاف ثانية ثم واو بعدها شين معجمة، وهو لفظ تركي تفسيره بالعربي العقاب الطائر المعروف، وبه سمى الانسان.

obeikandl.com

أبو سعيد كوكبوري بن أبي الحسن علي بن بكتكين بن محمد الملقب الملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل.

كان والده زين الدين علي المعروف بكجك صاحب إربل، رزق أولادا كثيرة، وكان قصيرا ولهذا قيل له كجك، وهو لفظ عجمي معناه بالعربي صغير، أي صغير القدر، وأصله من التركمان وملك إربل وبلادا كثيرة في تلك النواحي، وفرقها على أولاد أتابك قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل، ولم يبق له سوى إربل، والشرح يطول وعمر طويلا، يقال إنه جاوز مائة سنة، وعمي في آخر عمره، وانقطع بإربل إلى أن توفي ليلة الأحد حادي عشر ذي القعدة سنة ثلاث وستين وخمسمائة.

وقال ابن شداد في سيرة صلاح الدين: مات في ذي الحجة من السنة، ودفن في تربته المعروفة به المجاورة للجامع العتيق داخل البلد رحمه الله تعالى، وكان موصوفا بالقوة المفرطة والشهامة، وله بالموصل أوقاف كثيرة مشهورة من مدارس وغيرها.

قال شيخنا الحافظ عز الدين أبو الحسن علي المعروف بابن الأثير الجزري في تاريخه الصغير، الذي عمله لبني أتابك ملوك الموصل: إن زين الدين المذكور سار عن الموصل إلى إربل سنة ثلاث وستين وخمسمائة، وسلم جميع ماكان بيده من البلاد والقلاع إلى أتابك قطب الدين، فمن ذلك سنجار وحران وقلعة عقر الحميدية، وقلاع الهكارية جميعها، وتكريت وشهرزور وغير ذلك، وماترك لنفسه سوى إربل، وكان قد حج هو وأسد الدين شيركوه بن شاذي في سنة خمس وخمسين وخمسمائة.

ولما توفي ولي موضعه ولده مظفر الدين المذكور، وعمره أربع عشرة سنة، وكان أتابكه مجاهد الدين قايماز المذكور في حرف القاف، فأقام

أخاه زين الدين أبا المظفر يوسف، وكان أصغر منه، ثم أخرج مظفر الدين من البلاد فتوجه إلى بغداد، فلم يحصل له بها مقصود، فانتقل إلى الموصل ومالكها يومئذ سيف الدين غازي بن مودود المقدم ذكره في حرف العين، فاتصل بخدمته وأقطعه مدينة حران فانتقل إليها، وأقام بها مدة.

ثم اتصل بخدمة السلطان صلاح الدين وحظي عنده، وتمكن منه وزاده في الإقطاع الرهافي سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، وأخذ صلاح الدين الرها من ابن الزعفراني وأعطاها مظفر الدين مع حران، وأخذ الرقة من ابن حسان وأعطاها ابن الزعفراني، والشرح في ذلك يطول، ثم أعطاه سميساط وزوجه أخته الست ربيعة خاتون بنت أيوب، وكانت قبله زوجه سعد الدين مسعود بن معين الدين صاحب قصر معين الدين الذي بالغور، وتوفي سعد الدين المذكور سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، وشهد مظفر الدين مع صلاح الدين مواقف كثيرة، وأبان فيها عن نجدة وقوة نفس وعزة، وثبت في مواضع لم يثبت فيها غيره، على ماتضمنته تواريخ العماد الأصبهاني وبهاء الدين بن شداد وغيرهما وشهرة ذلك تغنى عن الإطالة فيه، ولو لم يكن إلا وقعة حطين لكفته، فإنه وقف هو وتقي الدين صاحب حماة المقدم ذكره، وانكسر العسكر بأسره ثم لما سمعوا بوقوفهما تراجعوا حتى كانت النصرة للمسلمين، وفتح الله سبحانه عليهم، ثم لما كان السلطان صلاح الدين منازلا عكا بعد استيلاء الفرنج عليها، وردت عليه ملوك الشرق تنجده وتخدمه، وكان في جملتهم زين الدين يوسف أخو مظفر الدين، وهو يومئذ صاحب إربل فأقام قليلا ثم مرض وتوفي في الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ست وثمانين وخمسمائة بالناصرة، وهي قرية بالقرب من عكا، يقال إن المسيح عليه الصلاة والسلام ولد بها على الاختلاف الذي في ذلك، فلما توفي التمس مظفر الدين من السلطان أن ينزل عن حران والرها وسميساط ويعوضه إربل فأجابه إلى ذلك وضم إليه شهرزور، فتوجه

إليها ودخل إربل في ذي الحجة سنة ست وثمانين وخمسمائة، هذه خلاصة أمره.

وأما سيرته فلقد كان له في فعل الخيرات غرائب لم يسمع أن أحدا فعل في ذلك مافعله، لم يكن في الدنيا شيء أحب إليه من الصدقة، كان له كل يوم قناطير مقنطرة من الخبز يفرقها على المحاويج في عدة مواضع من البلد، يجتمع في كل موضع خلق كثير يفرق عليهم في أول النهار، وكان إذ نزل من الركوب يكون قد اجتمع عند الدار جمع كثير فيدخلهم إليه ويدفع لكل واحد كسوة على قدر الفصل من الشتاء والصيف أو غير ذلك، ومع الكسوة شيء من الذهب من الدينار والاثنين والثلاثة، وأقل وأكثر وكان قد بنى أربع خانقاهات للزمنى والعميان وملأها من هذين الصنفين، وقرر لهم مايحتاجون إليه كل يوم، وكان يأتيهم بنفسه في كل عصرية اثنين وخميس، ويدخل عليهم، ويدخل إلى كل واحد في بيته ويتفقده بشيء من النفقة ويسأله عن حاله، وينتقل إلى الآخر وهكذا حتى يدور على جميعهم، وهو يباسطهم ويمزح معهم ويجبر قلوبهم، وبنى دارا للنساء الأرامل، ودارا للصغار الأيتام، ودار للملاقيط، رتب بها جماعة من المراضع، وكل مولود يلتقط يحمل إليهن فيرضعنه وأجرى على أهل كل دار مايحتاجون إليه في كل يوم، وكان يدخل إليها في كل وقت ويتفقد أحوالهن ويعطيهن النفقات زيادة على المقرر لهن، وكان يدخل إلى البيمارستان ويقف على مريض مريض ويسأله عن مبيته وكيفية حاله ومايشتهيه، وكان له دار مضيف يدخل إليها كل قادم على البلد من فقيه أو فقير أو غيرهما، وعلى الجملة فما كان يمنع منها كل من قصد الدخول إليها ولهم الراتب في الدار في الغداء والعشاء، وإذا عزم الانسان على السفر أعطوه نفقة على مايليق بمثله.

وبنى مدرسة رتب فيها فقهاء الفريقين من الشافعية والحنفية، وكان كل وقت يأتيها بنفسه ويعمل السماط بها ويبيت بها، ويعمل السماع،

وإذا طاب خلع شيئا من ثيابه وسير للجماعة بكرة شيئا من الإنعام، ولم يكن له لذة سوى السماع، فإنه كان لايتعاطى المنكر، ولايمكن من إدخاله إلى البلد، وبنى للصوفية خانقاهين فيهما خلق كثير من المقيمين والواردين، ويجتمع في أيام المواسم فيهما من الخلق مايعجب الانسان من كثرتهم، ولهما أوقاف كثيرة تقوم بجميع مايحتاج إليه ذلك الخلق، ولابد عند سفر كل واحد من نفقة يأخذها، وكان ينزل بنفسه إليهم ويعمل عندهم السماعات في كثير من الأوقات وكان يسير في كل سنة دفعتين جماعة من أمنائه إلى بلاد الساحل، ومعهم جملة مستكثرة من المال يفتك بها أسرى المسلمين من أيدي الكفار، فإذا وصلوا إليه أعطى كل واحد شيئا وإن لم يصلوا فالأمناء يعطونهم بوصيةمنه في ذلك، وكان يقيم في كل سنة سبيلا للحاج، ويسير معه جميع ماتدعو حا جة المسافر إليه في الطريق، ويسير صحبته أمينا معه خمسة أو ستة آلاف دينار ينفقها بالحرمين على المحاويج وأرباب الرواتب، وله بمكة حرسها الله تعالى آثار جميلة، وبعضها باق إلى الآن، وهو أول من أجرى الماء إلى جبل عرفات ليلة الوقوف، وغرم عليه جملة كثيرة، وعمر بالجبل مصانع للماء، فإن الحاج كانوا يتضررون من عدم الماء، وبنى له تربة أيضا هناك.

وأما احتفاله بمولد النبي صلى الله عليه وسلم فإن الوصف يقصر عن الإحاطة به، لكن نذكر طرفا منه، وهو أن أهل البلاد كانوا قد سمعوا بحسن اعتقادة فيه، فكان في كل سنة يصل إليه من البلاد القريبة من إربل مثل بغداد، والموصل، والجزيرة، وسنجار، ونصيبين،وبلاد العجم وتلك النواحي خلق كثير من الفقهاء والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء، ولايزالون يتواصلون من المحرم إلى أوائل شهر ربيع الأول، ويتقدم مظفر الدين بنصب قباب من الخشب، كل قبة، أربع أو خمس طبقات، ويعمل مقدار عشرين قبة، وأكثر منها قبة له والباقي للأمراء وأعيان دولته لكل واحد قبة فإذا كان أول صفر زينوا تلك القباب بأنواع الزينة الفاخرة المتجملة، وقعد في كل قبة جوق من الأغاني وجوق من

أرباب الخيال ومن أصحاب الملاهي، ولم يتركوا طبقة من تلك الطباق حتى رتبوا فيها جوقا، وتبطل معايش الناس في تلك المدة، ومايبقى لهم شغل إلا التفرج والدوران عليهم، وكانت القباب منصوبة من باب القلعة إلى باب الخانقاه المجاورة للميدان، فكان مظفر الدين ينزل كل يوم بعد صلاة العصر، ويقف على قبة قبة إلى آخرها، ويسمع غناءهم، ويتفرج على خيالاتهم ومايفعلونه في القباب، ويبيت في الخانقاة ويعمل السماع فيها، ويركب عقيب صلاة الصبح يتصيد، ثم يرجع إلى القلعة قبل الظهر، هكذا يعمل كل يوم إلى ليلة المولد، وكان يعمله سنة في ثامن الشهر، وسنة في ثاني عشره لأجل الاختلاف الذي فيه، فإذا كان قبل المولد بيومين أخرج من الإبل والبقر والغنم شيئاً كثيرا زائدا عن الوصف، وزفها بجميع ماعنده من الطبول والأغاني والملاهي حتى يأتي بها إلى الميدان، ثم يسرعون في نحرها، وينصبون القدور ويطبخون الألوان المختلفة، فإذا كانت ليلة المولد عمل السماعات، بعد أن يصلى المغرب في القلعة، ثم ينزل وبين يديه من الشموع المشتعلة شيء كثير، وفي جملتها شمعتان أو أربع أشك في ذلك، من الشموع الموكبية التي تحمل كل واحدة منها على بغل، ومن ورائها رجل يسندها وهي مربوطة على ظهر البغل حتى ينتهى إلى الخانقاه، فإذا كان صبيحة يوم المولد أنزل الخلع من القلعة إلى الخانقاه على أيدي الصوفية، على يد كل شخص منهم بقجة ، وهم متتابعون كل واحد وراء الآخر، فينزل من ذلك شيء كثير لاأتحقق عدده، ثم ينزل إلى الخانقاه وتجتمع الأعيان والرؤساء وطائفة كبيرة من بياض الناس، وينصب كرسي للوعاظ، وقد نصب لمظفر الدين برج خشب له شبابيك إلى الموضع الذي فيه الناس، والكرسي وشبابيك أخر للبرج أيضا إلى الميدان، وهو ميدان كبير في غاية الاتساع ويجتمع فيه الجند ويعرضهم ذلك النهار، وهو تارة ينظر إلى عرض الجند، وتارة إلى الناس والوعاظ، ولايزال كذلك حتى يفرغ الجند من عرضهم، فعند ذلك يقدم السماط في الميدان للصعاليك، ويكون

سماطا عاما فيه من الطعام والخبز شيء كثير لايحد ولايوصف، ويمد سماطا ثانيا في الخانقاه للناس المجتمعين عند الكرسي، وفي مدة العرض ووعظ الوعاظ يطلب واحدا واحدا من الأعيان والرؤساء والوافدين لأجل هذا الموسم ممن قدمنا ذكره من الفقهاء والوعاظ والقراء والشعراء، ويخلع على كل واحد منهم، ثم يعود إلى مكانه، فإذا تكامل ذلك كله حضروا السماط وحملوا منه لمن يقع التعيين على الحمل إلى داره، ولايزالون على ذلك إلى العصر أو بعدها، ثم يبيت تلك الليلة هناك، ويعمل السماعات إلى بكرة،هكذا دأبه في كل سنة، وقد لخصت صورة الحال فإن الاستقصاء يطول، فإذا فرغوا من هذا الموسم تجهز كل إنسان للعود إلى بلده، فيدفع لكل شخص شيئاً من النفقة، وقد ذكرت في ترجمة الحافظ أبي الخطاب بن دحية، في حرف العين وصوله إلى إربل وعمله لكتاب«التنوير في مولد السراج المنير» لما رأى من اهتمام مظفر الدين به، وأنه أعطاه ألف دينار غير ماغرم عليه مدة إقامته من الإقامات الوافرة، وكان رحمه الله متى أكل شيئا واستطابه لايختص به بل كان إذا أكل من زبدية لقمة طيبة قال لبعض من بين يديه من أجناده: احمل هذا إلى الشيخ فلان أو فلانة ممن هم عنده مشهورون بالصلاح، وكذلك يعمل في الحلوى والفاكهة وغير ذلك من المطاعم والمشارب والكساء، وكان كريم الأخلاق كثير التواضع حسن العقيدة، سالم البطانة، شديد الميل إلى أهل السنة والجماعة، لاينفق عنده من أرباب العلوم سوى الفقهاء والمحدثين، ومن عداهما لايعطيه شيئا إلا تكلفا، وكذلك الشعراء لايقول بهم ولايعطيهم إلا إذا قصدوه، فما كان يضيع قصدهم ولايخيب أمل من يطلب بره، وكان يميل إلى علم التاريخ وعلى خاطره منه شيء يذاكر به، ولم يزل رحمه الله تعالى مؤيدا في مواقفه ومصافاته مع كثرتها، لم ينقل أنه انكسر في مصاف قط ولو استقصيت في تعداد محاسنه لطال الكتاب وفي شهرة معروفة غنية عن الإطالة، وليعذر الواقف على هذه الترجمة، ففيها تطويل، ولم يكن سببه إلا ماله علينا من الحقوق التي لانقدر على القيام

بشكر بعضها، ولو عملنا مهما عملناه، وشكر المنعم واجب فجزاه الله عنا أحسن الجزاء، فكم له علينا من الأيادي ولأسلافه على أسلافنا من الإنعام، والانسان صنيعه الإحسان، ومع الإعتراف بجميله فلم أذكر عنه شيئا على سبيل المبالغة بل كل ماذكرته عن مشاهدة وعيان، وربما حذفت بعضه طلبا للإيجاز، وكانت ولادته بقلعة الموصل ليلة الثلاثاء السابعة والعشرين من المحرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة، وتوفي وقت الظهر يوم الأربعاء ثامن عشر شهر رمضان سنة ثلاثين وستمائة بداره في البلدة التي كانت لمملوكه شهاب الدين قراجا فلما قبض عليه في سنة أربع عشرة وستمائة أخذها وصار يسكنها بعض الأوقات فمات بها، ثم نقل إلى قلعة إربل ودفن بها، ثم حمل بوصية منه إلى مكة شرفها الله تعالى وكان قد أعد له بها قبة تحت الجبل في ذيله يدفن فيها، وقد سبق ذكرها، فلما توجه الركب إلى الحجاز سنة إحدى وثلاثين سيروه في الصحبة، فاتفق أن رجع الحاج تلك السنة من لينة ولم يصلوا إلى مكة، فردوه ودفنوه بالكوفة بالقرب من المشهد رحمه الله تعالى، وعوضه خيرا وتقبل مباره، وأحسن منقلبه.

وأما زوجته ربيعة خاتون بنت أيوب فإنها توفيت في شعبان سنة ثلاث وأربعين وستمائة، وغالب ظني أنها جاوزت ثمانين سنة، ودفنت في مدرستها الموقوفة على الحنابلة بسفح قاسيون، وكانت وفاتها بدمشق، وأدركت من محارمها من الملوك من أخوتها وأولادهم أكثر من خمسين رجلا، غير محارمها من غير الملوك ولولا خوف الإطالة لذكرتهم مفصلا، فإن إربل كانت لزوجها المذكور، والموصل لأولاد بنتها، وخلاط وتلك الناحية لابن أخيها، وبلاد الجزيرة الفراتية للأشرف ابن أخيها، وبلاد الشام لأولاد أخوتها، والديار المصرية والحجاز واليمن لأخوتها وأولادهم ، ومن تأمل ذلك عرف الجميع.

وكوكبوري بضم الكافين بينهما واوا ساكنه، ثم باء موحدة مضمومة، ثم

واوا ساكنة، وبعدها راء، وهو اسم تركي معناه بالعربي ذئب أزرق، وبكتيكين بضم الباء الموحدة وسكون الكاف، وكسر التاء المثناة من فوقها، والكاف، وسكون الياء المثناة من تحتها، وبعدها نون، هو اسم تركي أيضا، ولينة بكسر اللام وسكون الياء المثناة من تحتها، وفتح النون وبعدها هاء ساكنة، منزلة في طريق الحجازمن جهة العراق، وكان الركب في تلك السنة قد رجع منها لعدم الماء، وقاسوا مشقة عظيمة.

obeikandl.com

أبو بكر محمد بن أبي الشكر أيوب بن شادي بن مروان الملقب بالملك العادل سيف الدين أخو السلطان صلاح الدين رحمهما الله تعالى.

وقد تقدم ذكر والـده في حرف الهمزة، وسيأتي ذكر أخيه صـلاح الدين في حرف الياء إن شـاء الله تعالى،وكان الملك العادل قد وصـل إلى الديار المصرية صحبة أخيـه وعمه أسد الديـن شيركوه المقدم ذكره، وكـان يقول لما عزمنا على المسير إلى مصر احتجـت إلى جرمدان[1] فطلبته من والدي فأعطاني، وقال: ياأبا بكر إذا ملكتم مصر أعطني ملأه ذهبا، فلما جاء إلى مصر قال: يا أبـا بكر أين الجرمدان؟ فرحـت وملأته من الـدراهم السود وجعلت أعـلاها شيئـا من الـذهب وأحضرتـه إليه، فلما رآه اعتقـده ذهبا فقلبه فظهرت الفضة السوداء، فقال: يا أبا بكر تعلمت زغل المصريين.

ولما ملك السلطـان صلاح الديـن الديـار المصرية كان ينـوب عنه في حال غيبتـه في الشام، ويستدعى منـه الأموال للانفاق في الجنـد وغيرهم، ورأيـت في بعض رسـائل القـاضي الفاضـل أن الحمـول تـأخرت مـدة، فتقـدم السلطان إلى العماد الأصبهـاني أن يكتب إلى أخيـه الملك العـادل يستحثه على إنفاذها حتى قال: يسير لنا الحمل من مالنا أو من ماله، فلما وصل الكتاب إليـه ووقف على هذا الفصل شق عليـه وكتب إلى القاضي الفاضل يشكو مـن السلطان لأجل ذلك، فكتب القاضي الفـاضل جوابه وفي جملته:« وأما مـاذكره المولى من قولـه يسير لنا الحمل من مـالنا أو من مالـه، فتلك لفظة ماالمقصـود بها من الملك النجعة وإنما المقصـود بها من الكـاتب السجعـة، وكم مـن لفظة فظـة، وكلمة فيهـا غلظة حيرت عـي الأقـلام، وفسدت خلـل الكـلام، وعلى المملـوك الضمان في هذه النكتـة، وقد فـات لسان القلم منها أي سكتـة، وكان المملوك حاضرا وقـد جرت قوارع الاستحثاث، وصرصر البازي، وقوت نفـس العماد قوة نفس البغاث والسلام».

ولما ملك السلطان مدينة حلب في صفر سنة تسع وسبعين وخمسمائة كما تقدم في ترجمة عماد الدين زنكي أعطاها لولده الملك الظاهر غازي، ثم أخذها منه وأعطاها للملك العادل، فانتقل إليها وقصد قلعتها يوم الجمعة الثاني والعشرين من شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة ثم نزل عنهما للملك الظاهر غازي ابن السلطان المقدم ذكره لمصلحة وقع الاتفاق عليها بينه وبين أخيه صلاح الدين وخرج منها في سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ليلة السبت الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول، ثم أعطاه السلطان قلعة الكرك، وتنقل في الممالك في حياة السلطان وبعد وفاته وقضاياه مشهورة مع الملك الأفضل، والملك العزيز، والملك الظاهر، فلا حاجة إلى الإطالة بشرحها، وآخر الأمر أنه استقل بمملكة الديار المصرية، وكان دخوله إلى القاهرة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة، واستقرت له القواعد.

وقال أبو البركات بن المستوفي في تاريخ إربل في ترجمة ضياء الدين أبي الفتح نصر الله المعروف بابن الأثير الوزير الجزري مامثاله:«وجدت بخطه خطب للملك العادل أبي بكر بن أيوب بالقاهرة ومصر يوم الجمعة الحادي والعشرين من شوال سنة ست وتسعين وخمسمائة، وخطب له بحلب يوم الجمعة حادي عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، وملك معها البلاد الشامية والشرقية، وصفت له الدنيا، ثم ملك بلاد اليمن في سنة اثنتي عشرة وستمائة، وسير إليها ولد ولده الملك المسعود صلاح الدين أبا المظفر يوسف المعروف بأطسيس ابن الملك الكامل الآتي ذكره إن شاء الله تعالى، وكان ولده الملك الأوحد نجم الدين أيوب ينوب عنه في ميافارقين وتلك النواحي، فاستولى على مدينة خلاط وبلاد أرمينية، واتسعت مملكته وذلك في سنة أربع وستمائة، ولما تمهدت البلاد له قسمها بين أولاده، فأعطى الملك الكامل الديار المصرية، والملك المعظم البلاد الشامية، والملك الأشرف البلاد المشرقية، والأوحد في البلاد التي ذكرناها، وكان ملكا عظيما ذا رأي ومعرفة تامة

قد حنكته التجارب، حسن السيرة، وجميل الطوية، واف العقل، حازما في الأمور،صالحا محافظا على الصلوات في أوقاتها متبعا لأرباب السبنة مائلا الى العلماء حتى صنف له فخر الدين الزازي كتاب«تأسيس التقديس» وذكر اسمه في خطبته، وسيره إليه من بلاد خراسان، وبالجملة فإنه كان رجلا مسعودا، ومن سعادته أنه خلف أولادا لم يخلف أحدا من الملوك أمثالهم في نجابتهم وبسالتهم ومعرفتهم وعلو همتهم، ودانت لهم العباد، وملكوا أخيار البلاد، ولما مدح ابن عنين المقدم ذكره الملك العادل بقصيدته الرائية المذكور بعضها في ترجمته جاء منها في مديح أولاده المذكورين قوله:

ولـــه البنـــون بكـــل أرض منهـــم
ملـــك يقـــود إلى الأعـــادي عسكـــرا
مـــن كـــل وضـــاح الجبين تخالـــه
بـــدرا وإن شهـــد الـــوغـــى فغضنفـــرا
متقـــدم حتـــى إذا النقـــع انجلى
بـــالبيـــض عـــن سبـــي الحريـــم تـــأخـــرا
قـــوم زكـــوا أصـــلا وطـــابـــوا محتـــدا
وتـــدفقـــوا جـــودا وراقـــوا منظـــرا
وتعـــاف خيلهـــم الـــورود بمنهـــل
مـــا لم يكـــن بـــدم الـــوقـــائع أحمرا
يعشـــوا إلى نـــار الـــوغـــى شغفـــاً بها
ويجل أن يعشـــوا إلى نـــار القـــرى

وكم للشعراء فيهم من القصائد المختارة لكن ذكرت هذه لكونها جامعة لجميعهم ومن جملة هذه القصيدة مدح الملك العادل قوله ولقد أحسن فيه:

العـــادل الملـــك الـــذي اسماؤه
في كـــل نـــاحيـــة تشرف منبرا

وبكل أرض جنة من عدله الـ
ـضافي أسال نداه فيها كوثرا
عدل يبيت الذئب منه على الطوى
غرثان وهو يرى الغزال الأعفرا
ما في أبي بكر لمعتقد الهدى
شك مريب أنه خير الورى
سيف صقال المجد أخلص متنه
وأبان طيب الأصل منه الجوهرا
ما مدحه بالمستعار له ولا
آيات سؤدده حديث يفترى
بين الملوك الغابرين وبينه
في الفضل ما بين الثريا والثرى
نسخت خلائقه الحميدة ما أتى
في الكتب عن كسرى الملوك وقيصرا
ملك اذا خفت حلوم ذوي النهى
في الروع زاد رصانة وتوقرا
ثبت الجنان تراع من وثباته
وثباته يوم الوغى اسد الشرى
يقظ يكاد يقول عما في غد
ببديهة اغنته أن يتفكرا
حلم تخف له الحلوم وراءه
رأي وعزم يحقر الاسكندرا
يعفو عن الذنب العظيم تكرما
ويصد عن قول الخنى متكبرا
لاتسعمن حديث ملك غيره
يروى فكل الصيد في جوف الفرا(٢)

وبالجملة فإنها من القصائد المختارة، ولما قسم البلاد بين أولاده، كان يتردد بينهم وينتقل إليهم من مملكة إلى أخرى، وكان بالغالب يصيف

بالشام لأجل الفواكة والثلج والمياة الباردة، ويشتي في الديار المصرية لاعتدال الوقت فيها وقلة البرد، وعاش في أرغد عيش، وكان يأكل كثيرا خارجا عن المعتاد حتى يقال إنه يأكل وحده خروفا لطيفا مشويا، وكان له في النكاح نصيب وافر، وحاصل الأمر أنه كان ممتعا في دنياه، وكانت ولادته بدمشق في المحرم سنة أربعين، وقيل ثمان وثلاثين وخمسمائة، وتوفي في سابع جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة بعالقين ونقل إلى دمشق، ودفن بالقلعة ثاني يوم وفاته ثم نقل إلى مدرسته المعروفة به. ودفن في التربة التي بها، وقبره على الطريق يراه المجتاز من الشباك المركب هناك رحمه الله تعالى.

وعالقين بفتح العين المهملة، وبعد الألف لام مكسورة وقاف مكسورة أيضا وياء مثناة من تحتها ساكنة وبعدها نون، وهي قرية بظاهر دمشق، وكان ذلك عند وصول الفرنج إلى ساحل الشام،وقصدوا أولا لقاء الملك العادل فتوجه قدامه إلى جهة دمشق ليتجهز ويتأهب إلى لقائهم، فلما وصل إلى الموضع المذكور توفي به، فحينئذ أعرض جميع الفرنج عن الشام وقصدوا الديار المصرية فكانت وقعة دمياط المشهورة في ذلك التاريخ وتاريخها مضبوط في ترجمة يحيي بن منصور المعروف بابن جراح في حرف الياء، وأطسيس بفتح الهمزة وسكون الطاء المهملة وكسر السين المهملة وبعدها ياء مثناة من تحتها، ثم سين ثانية، وهي كلمة تركية معناها بالعربية ماله اسم، ويقال إنما سمي بذلك لأن الملك الكامل ماكان يعيش له ولد، فلما ولد له المسعود المذكور قال بعض الحاضرين في مجلسه من الأتراك: في بلادنا إذا كان الرجل لايعيش له ولد سماه أطسيس، فسماه أطسيس، والناس يقولون أقسيس بالقاف وصوابه بالطاء كذا قالوا والله أعلم، ثم ظفرت بتاريخ تسلم حلب محررا وهو أن عماد الدين زنكي نزل من قلعتها يوم الخميس الثاني والعشرين من صفر، وصعد صلاح الدين إليها يوم الاثنين السادس والعشرين من صفر المذكور، والله أعلم.

أبو المعالي محمد ابن الملك العادل المذكور الملقب بالملك الكامل ناصر الدين

قد سبق في ترجمة والده طرف من خبره، ولما وصل الفرنج إلى دمياط كما تقدم ذكره كان الملك الكامل في مبدأ استقلاله بالسلطنة، وكان عنده جماعة كثيرة من أكابر الأمراء وفيهم عماد الدين أحمد بن المشطوب المذكور في حرف الهمزة، فاتفقوا مع أخيه الملك الفائز سابق الدين ابراهيم ابن الملك العادل، وانضموا إليه وظهر للملك الكامل منهم أمور تدل على أنهم عازمون على تفويض السلطنة إليه وخلع الملك الكامل واشتهر ذلك بين الناس، وكان الملك الكامل يداريهم لكونه في قبالة العدو، ولايمكنه المناظرة والمنافرة وطول روحه معهم ولم يزل على ذلك حتى وصل إليه أخوه الملك المعظم صاحب دمشق المذكور في حرف العين يوم الخميس تاسع عشر ذي القعدة سنة خمس عشرة وستمائة، فأطلعه الملك الكامل في الباطن على صورة الحال وأن رأس هذه الطائفة ابن المشطوب، فجاءه يوما على غفلة إلى خيمته واستدعاه فخرج إليه، فقال له: أريد أن أتحدث معك سرا في خلوة، فركب فرسه وصار معه وهو جريدة وقد جرد المعظم جماعة ممن يعتمد عليهم ويثق إليهم، وقال لهم: اتبعونا ولم يزل المعظم يشاغله بالحديث ويخرج معه من شيءإلى شيء حتى أبعد عن المخيم، ثم قال له: ياعماد الدين هذه البلاد لك ونشتهي أن تهبها لنا، ثم أعطاه شيئا من النفقة وقال لأولئك المجردين: تسلموه حتى تخرجوه من الرمل،فلم يسعه ، إلا امتثال الأمر لانفراده وعدم القدرة على الممانعة في تلك الحال، ثم عاد المعظم إلى أخيه الكامل وعرفه صورة ماجرى، ثم جهز أخاه الملك الفائز المذكور إلى الموصل لاحضار النجدة منها ومن بلاد الشرق فجاءت بسنجار، وكان ذلك خديعة لإخراجه من البلاد، فلما خرج هذان الشخصان من العسكر تحللت عزائم من بقي من الأمراء الموافقين لهما ودخلوا في طاعة الملك الكامل كرها لاطوعا، وجرى في قضية دمياط ماهو مشهور، فلا حاجة

إلى الإطالة بـذكره، ولما ملك الفرنـج دمياط وصارت في قبضتهم خـرجوا منها قاصدين القاهرة ومصر، ونـزلوا في رأس الجزيرة التي دمياط في برها، وكان المسلمون قبالتهم في القرية المعـروفة بالمنصورة، والبحر حائل بينهم وهو بحـر أشموم,ونصر الله سبحـانه وتعـالى بمنه وجميـل لطفه المسلمين عليهم كما هـو مشهود،وجلا الفـرنج عن منزلهم ليلـة الجمعة سابـع شهر رجـب سنـة ثمان عشرة وستمائة، وتـم الصلـح بينهـم وبين المسلمين في حـادي عشر الشهر المذكـور، ورحل الفـرنـج عن البـلاد في شعبان مـن السنة المذكورة، وكانت مدة إقامتهـم في بلاد الاسلام مابين الشام والديار المصرية أربعين شهرا وأربعـة عشر يوما، وكفى الله شرهـم والحمد لله على ذلك، وقـد فصلت ذلـك في ترجمة يحيـي بن جـراح فيكشف هنـاك، فلما استراح خاطـر الملك الكامـل من جهة هـذا العدو تفـرغ للأمراء الـذين كانوا متحـاملين عليه فنفاهم عـن البلاد وبدد شملهم وشردهـم، ودخل إلى القاهـرة وشرع في عمارة البلاد واستخـراج الأموال مـن جهاتها، وكـان سلطانـا عظيم القـدر جميل الذكـر محبا للعلماء، متمسكا بـالسنة النبـوية حسن الاعتقـاد معاشرا لأرباب الفضـائل حازما في أمـوره لايضع الشيء إلا في موضعـه من غير اسراف ولااقتار، وكان يبيـت عنده كل ليلـة جمعة جماعـة من الفضـلاء ويشاركهـم في مبـاحثاتهم، ويسـألهم عن المواضـع المشكلة من كل فـن وهو معهم كواحد منهم، وكـان يعجبه هذان البيتان وينشدهما كثيرا وهما:

مـــاكنـــت مـــن قبـــل ملـــك قلبـــي
تصـــدعـــن مـــدنـــف حـــزيـــن
وإنما قـــــــد طمعـــــــت لما
حللـــــت في مـــــوضـــــع حصين

وبنى بالقـاهرة دار حديث، ورتـب لها وقفا جيدا، وكان قـد بنى على ضريح الإمام الشافعي رضي الله عنه قبـة عظيمة، ودفن أمه عنده وأجرى إليها الماء من النيـل ومدده بعيدا، وأنفق على ذلـك مالا عظيما، ولما مات

أخوه الملك المعظم صاحب الشام في التاريخ المذكور في ترجمته، وقام الملك الناصر صلاح الدين داود مقامه، خرج الملك الكامل من الديار المصريةقاصدا أخذ دمشق منه، وجاءه أخوه الملك الأشرف مظفر الدين موسى الآتي ذكره بعد هذا إن شاء الله تعالى، فاجتمعا على أخذ دمشق بعد فصول جرت يطول شرحها، وملك دمشق في أول شعبان سنة ست وعشرين وستمائة، وكان يوم الاثنين، فلما ملكها دفعها إلى أخيه الملك الأشرف وأخذ عوضها من بلاد الشرق: حران، والرها، وسروج، والرقة، ورأس عين، وتوجه إليها بنفسه في تاسع شهر رمضان المعظم من السنة، واجتزت بحران في شوال سنة ست وعشرين وستمائة والملك الكامل مقيم بها بعسكر الديار المصرية، وجلال الدين خوارزم شاه يوم ذاك محاصر خلاط، وكانت لأخيه الملك الأشرف، ثم رجع إلى الديار المصرية ثم تجهز في جيش عظيم وقصد آمد في سنة تسع وعشرين وستمائة فأخذها مع حصن كيفا وتلك البلاد من الملك المسعود ركن الدين مودود ابن الملك الصالح أبي الفتح محمد بن نور الدين محمد بن فخر الدين قرا أرسلان بن ركن الدولة داود بن نور الدولة سقمان، ويقال سكمان بن أرتق، وقد تقدم ذكر جدهم أرتق.

أخبرني بعض أهل آمد ممن عنده معرفة أن آمد انبرم أمرها وتسلمها الملك الكامل في تاسع عشر ذي الحجة من السنة المذكورة، ودخلها ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب في العشرين من الشهر المذكور، ودخلها الكامل في مستهل المحرم سنة ثلاثين وستمائة، ولما مات الملك الأشرف في التاريخ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في ترجمته جعل ولي عهده أخاه الملك الصالح اسماعيل ابن الملك العادل، فقصده الملك الكامل وانتزع منه دمشق بعد مصالحة جرت بينهما وذلك في التاسع من جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وستمائة، وأبقى له بعلبك وأعمالها وبصرى وأرض السواد وتلك البلاد، ولما ملك البلاد الشرقية وآمد وتلك النواحي استخلف فيها ولده الملك الصالح نجم الدين أبا المظفر أيوب،

واستخلف ولده الأصغر الملك العادل سيف الدين أبا بكر بالديار المصرية وقد تقدم في ترجمة الملك العادل أنه سير الملك المسعود إلى اليمن وكان أكبر أولاد الملك الكامل، وملك الملك المسعود مكة حرسها الله تعالى وبلاد الحجاز مضافة إلى اليمن، وكان رحيل الملك المسعود عن الديار المصرية متوجها إلى اليمن يوم الاثنين سابع عشر رمضان المعظم سنة إحدى عشرة وستمائة، ودخل مكةشرفها الله تعالى في الثالث من ذي القعدة من السنة، وخطب له بها وحج ودخل زبيد وملكها مستهل المحرم سنة اثنتي عشرة، ثم ملك مكة شرفها الله تعالى في ربيع الآخر من سنة عشرين وستمائة أخذها من الشريف حسن بن قتادة الحسني، واتسعت المملكة للملك الكامل، ولقد حكى لي من حضر الخطبة يوم الجمعة بمكة شرفها الله تعالى أنه لما وصل الخطيب إلى الدعاء للملك الكامل قال:« مالك مكة وعبيدها واليمن وزبيدها، ومصر وصعيدها، والشام وصناديدها، والجزيرة ووليدها، سلطان القبلتين، ورب العلامتين خادم الحرمين الشريفين الملك الكامل أبو المعالي ناصر الدين محمد خليل أمير المؤمنين» وبالجملة فقد خرجنا عن المقصود، ولقد رأيته بدمشق في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة عند رجوعه من بلاد الشرق واستنقاذه إياها من يد علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قلج أرسلان ابن مسعود بن قلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش بن اسرائيل بن سلجوق بن دقاق السلجوقي صاحب الروم، وهي وقعة مشهورة يطول شرحها، في خدمته يومئذ بضعة عشر ملكا منهم أخوه الملك الأشرف، ولم يزل في علو شأنه وعظم سلطانه إلى أن مرض بعد أخذه دمشق ولم يركب، وكان ينشد في مرضه كثيرا:

يا خليلي خبراني بصدق
كيف طعم الكرى فإني نسيت

ولم يزل كذلك إلى أن توفي يوم الأربعاء بعد العصر، ودفن في القلعة بدمشق يوم الخميس الثاني والعشرين من رجب سنة خمس وثلاثين

وستمائة، وكنت بدمشق يومئذ، وحضرت الصبحة يوم السبت في جامع دمشق لأنهم أخفوا موته إلى وقت صلاة الجمعة، فلما حضرت الصلاة قام بعض الدعاة على العريش الذي بين يدي المنبر وترحم على الملك الكامل، ودعا لولده الملك العادل صاحب مصر، وكنت حاضرا في ذلك الموضع فضج الناس ضجة واحدة، وكانوا قد أحسوا بذلك، لكنهم لم يتحققوه إلا ذلك اليوم، وترتب ابن أخيه الملك الجواد مظفر الدين يونس بن شمس الدين مودود ابن الملك العادل في نيابة السلطنة بدمشق عن الملك العادل ابن الملك الكامل صاحب مصر، باتفاق الأمراء الذين كانوا حاضرين ذلك الوقت بدمشق، ثم بني له تربة مجاورة للجامع ولها شباك إلى الجامع ونقل إليها وكانت ولادته في سنة ست وسبعين وخمسمائة في الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول كذا وجدته بخط من يعتني بالتاريخ، والله أعلم.

وتوفي ولده الملك المسعود بمكة شرفها الله تعالى في ثالث جمادى الأولى سنة ست وعشرين وستمائة، ومولده في سنة تسع وتسعين وخمسمائة، وكان بمكة رجل من المجاورين يقال له الشيخ صديق بن بدر بن جناح، من أكراد بلد إربل، وكان من كبار الصالحين، فلما حضرت الملك المسعود الوفاة أوصى أنه إذا مات لايجهز بشيء من ماله بل يسلم إلى الشيخ صديق يجهزه من عنده بما يراه، فلما مات تولى الشيخ صديق أمره وكفنه في إزار كان يحرم فيه بالحج والعمرة سنين عديدة،وجهزه تجهيز الفقراء على حسب قدرته، وكان أوصى أنه لايبنى عليه قبة بل يدفن في جانب المعلى جبانه مكة شرفها الله تعالى، ويكتب على قبره هذا قبر الفقير إلى رحمة الله تعالى أطسيس بن محمد بن أبي بكر ابن أيوب، ففعل به ذلك ثم أن عتيقه الصارم قاياز المسعودي الذي تولى القاهرة بعد ذلك بنى عليه قبة.

ولما بلغ الملك الكامل مافعله الشيخ صديق كتب إليه وشكره، فقال:

مافعلت ماأستحق به الشكر، فإن هذا رجل سألني القيام بأمره فساعدته بما يجب على كل أحد القيام به من موارارة الميت، فقيل له: تكتب جواب الملك الكامل فقال: ليس لي إليه حاجة، وكان قد سأله أن يسأله حوائجه كلها فما رد له جوابا، أخبرني بذلك كله من كان حاضرا ويعرف مايقول، والله أعلم.

وأماولده الملك العادل فإنه أقام في المملكة إلى يوم الجمعة ثامن ذي الحجة سنةتسع وثلاثين وستمائة، فقبض عليه أمراء دولته بظاهر بلبيس وطلبوا أخاه الملك الصالح نجم الدين أيوب، وكان الصالح قد صالح الملك الجواد على أن أعطاه دمشق، وعوضه عنها سنجار وعانه، وقدم الصالح دمشق متملكا لها في مستهل جمادى الآخرة سنةست وثلاثين وستمائة، ثم إن عمه الملك الصالح عماد الدين اسماعيل صاحب بعلبك اتفق مع الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه صاحب حمص على أخذ دمشق اغتيالا، وكان الملك الصالح نجم الدين قد خرج منها قاصدا الديار المصرية ليأخذها من أخيه الملك العادل، فلما استقر بنابلس وأقام بها مدة جرت هذه الكائنة في سنة سبع وثلاثين وستمائة يوم الثلاثاء السابع والعشرين من صفر، فهجما دمشق بعساكرهما وأخذاها وهي قضية مشهورة، فلما أخذا دمشق رجعت العساكر التي كانت مع الصالح نجم الدين إليها ليدرك كل واحد منهم أهله وبنيه، وتركوا الملك الصالح بنابلس وحيدا في نفر قليل من غلمانه وأتباعه، فجاءه الملك الناصر ابن الملك المعظم صاحب الكرك وقبض عليه ليلة السبت الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول من ا لسنة، وأرسله إلى الكرك واعتقله بها، ثم إنه أفرج عنه في ليلة السبت السابع والعشرين من شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة، وشرح ذلك يطول، واجتمع هو والملك الناصر على نابلس، فلما قبض الملك العادل في التاريخ المذكور، طلب الأمراء الملك الصالح نجم الدين أيوب فجاءهم ومعه الملك الناصر صاحب الكرك، ودخلا القاهرة في

الساعة الثانية من يوم الأحد السابع والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة، وكنت إذ ذاك بالقاهرة، وأدخل أخاه الملك العادل في محفة وحوله جماعة كثيرة من الأجناد يحفظونه، وحمله من خارج البلد إلى القلعة واعتقله عنده في داخل الدار السلطانية، وبسط العدل في الرعية، وأحسن إلى الناس، وأخرج الصدقات ورمم ماتهدم من المساجد، وسيرته طويلة، ثم إنه أخذ دمشق من عمه الملك الصالح في يوم الاثنين ثامن جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين وستمائة، وأبقى عليه بعلبك، ومضى بعد ذلك إلى الشام في سنة ست وأربعين بعد أن كان عاد إلى مصر، ودخل دمشق في أوائل شعبان من السنة، وسير العساكر لحصار حمص، وقد كان الملك الناصر صاحب حلب أخذها من صاحبها الأشرف ابن صاحب حمص، ثم رجع في أوائل سنة سبع وأربعين وهو مريض، وقصد الفرنج دمياط وهو مقيم بأشموم ينتظر وصولهم، وكان وصولهم إليها يوم الجمعة العشرين من صفر سنة سبع وأربعين وستمائة، وملكوا بر الجزيرة يوم السبت، وملكوا دمياط يوم الجمعة ثلاثة أيام متوالية لأن العسكر وجميع أهلها تركوها وهربوا منها، وانتقل الملك الصالح من أشموم إلى المنصورة ونزل بها وهو في غاية المرض، وأقام بها على تلك الحال إلى أن توفي هناك ليلة الاثنين نصف شعبان من السنة المذكورة، وحمل إلى القلعة الجديدة التي في الجزيرة، وترك بها في مسجد هناك، وأخفي موته مقدار ثلاثة أشهر والخطبة باسمه إلى أن وصل ولده الملك توران شاه من حصن كيفا على البرية إلى المنصورةفعند ذلك أظهروا موته، وخطب لولده المذكور، ثم بعد ذلك بني له بالقاهرة إلى جنب مدارسه تربة ونقل إليها في رجب سنة ثمان وأربعين وستمائة.

وكانت ولادته في الرابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وستمائة هكذا وجدته بخط ابنه مكتوبا، ورأيت في مكان آخر أنه ولد في ليلة الخميس الخامس عشر من جمادى الآخرة من السنة المذكورة، وفي

مكان آخر أنه ولد في الرابع من المحرم سنة أربع وستمائة، والله تعالى أعلم، وأمه جارية مولدة سمراء اسمها ورد المنى رحمه الله تعالى.

وكانت ولادة الملك العادل في ذي الحجة سنة سبع عشرة وستمائة بالمنصورة، ووالده في قبالة العدو على دمياط،وتوفي في الاعتقال يوم الاثنين ثاني عشر شوال سنة خمس وأربعين وستمائة بقلعة القاهرة، ودفن في تربة شمس الدولة خارج باب النصر رحمه الله تعالى.

هذه الفصول ذكرت خلاصتها، ولو فصلتها لطال الشرح، والمقصود الاختصار، وطلب الايجاز مع أني كنت حاضرا أكثر وقائعها.

وكان للملك العادل ولد صغير يقال له الملك المغيث مقيما بالقلعة، فلما وصل ابن عمه الملك المعظم توران شاه إلى المنصورة سيره من هناك، ونقله إلى قلعة الشوبك، فلما جرت الكائنة على المعظم أحضر متسلم قلعة الكرك الملك المغيث من الشوبك وسلم إليه الكرك والشوبك وتلك النواحي، وهو الآن ملكها، ولم يزل مالكها إلى سنة إحدى وستين وستمائة، فنزل الملك الظاهر ركن الدين بيبرس المذكور في ترجمة القاضي مجلي صاحب كتاب الذخائر بالغور، وراسله وبذل له من تسليم البلد بدلا وحلف له، ويقال إنه ورى في اليمين ولم يستقض فيها فنزل إليه إلى منزله بالطور من الغور فقبض عليه ساعة وصوله وجهزه إلى قلعة الجبل بمصر، واعتقله بها، وكان للمغيث ولد ينعت بالعزيز فخر الدين عثمان صغير السن، فأمره الملك الظاهر ولم يزل في خدمته أميرا إلى أن فتح أنطاكية في شهر رمضان سنة ست وستين وستمائة، وتوجه من الشام بعد ذلك إلى مصر، فلما دخل إليها قبض عليه واعتقله وهو الآن معتقل بقلعة الجبل المذكورة، وهذه قلعة الكرك هي المذكورة في ترجمة القاضي المجلي أيضا، وكان الملك الظاهر يخاف على أولاده فكان يبالغ في تحصين القلعة المذكورة، ويملؤها بالذخائر ووجدها عونا له على زمانه، ولما توفي

الملك السعيد ابـن الملك الظاهر في الكرك كما ذكـرنا في الترجمة المذكورة ملكها بعـده أخوه الملك المسعـود نجم الديـن خضر ابن الملك الظـاهر باتفـاق ممن كـان بها من مماليك أبيـه، ومن أمـرائه، وهو الآن متملكهـا مقيم بها، ثـم نزل بالأمـان بعد حصاره فيهـا في مدة الأمير حسام الـدين طربطـر المنصوري كـان نائب المملكة، وتقـدم العساكـر ونزل معـه أخوه الملك العادل سلامش بعد أخيه الملك السعيد، وتوجه إلى الديار المصرية إلى خدمة السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي المذكور في تـرجمة القـاضي مجلي في أوائل هـذا الحرف، فـأحسـن السلطـان إليهما، وجعـل الملـك خضرا وأخـاه سـلامـش أميريـن، وأقطعهما الاقطـاعـات الجيـدة، وأسكنهما بقلعـة الجبـل المنصورة واستمـر الأمـر على ذلـك وهما مختلطان بـه في جملة أهلـه ملازمـان للركـوب مع ولـديه السلطـان الملك الصالح علاء الـدين والملك الأشرف صلاح الدين خليـل، ولم يزل الأمر كـذلك إلى سنـة ثمان وثمانين وستمائة فجرى مـن الأمـر ماقتضـى الحال معـه القبض على الأميريـن: نجم الـدين خضر وبـدر الديـن سلامـش المذكورين واعتقالهما بقلعة الجبل، والملك الصالح الملك المنصور المذكور فإنه كان ولي عهـد أبيه وكان حازما شديد الـرأي وتوفي في حياة والده في شهر شعبـان سنة سبع وثمانين وستمائة، ثـم إن والده جعل ولايـة العهد إلى ولده الملـك الأشرف المذكور، وقلـده الملك في شهـر شوال سنـة سبع وثمانين المذكورة، وهو من الملوك المشهـورين بعلو الهمة والسعادة والحزم، وتوفي الملـك المنصور قـلاوون في يوم السبـت من شهـر ذي القعدة سنـة تسـع وثمانين وستمائة في دهليزه بمسجـد التين، وكان قـد خرج على نيـة الغزاة إلى عكـا فعرض لـه مرض فقضـى به نحبـه، وعادت العسـاكر إلى مستقرهـا واستقر ولـده السلطان الملـك الأشرف بالمملكـة يجمع المعـاقل والبلاد، ولم يـر في الملوك أكثـر سعادة منـه ولا أعلى همة، ولاأكرم نفسـا، ولاأكثر وفاء لمن خدمه ولاذ به.

وفي أيام الملك المنصور فتحت طرابلس الشـام يوم الثلاثاء تاسع ربيع

الآخر سنة ثمان وثمانين وستمائة، وكان نازلها بنفسه وعساكره، وفتحها قهرا بالسيف، واستولى القتل والأسر والنهب على أهلها، وملك ماجاورها من قلعة جبيل والبترون وغير ذلك.

ثم إن الملك الأشرف المذكور بعد استقلاله بالملك بمدة يسيرة خرج بنفسه، وجمع عساكره وتوجه إلى عكا فنازلها في يوم الخميس ثالث ربيع الآخر، وكان خروجه من مصر في يوم الثلاثاء ثالث ربيع الأول واجتمع على عكا جميع الناس الجند والمتطوعة وغيرهم من سائر البلاد، ويسر الله فتحها في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى سنةتسعين وستمائة في مثل الساعة من اليوم من الشهر الذي أخذت فيه من المسلمين إلا أن الشهر كان الأولى، وأخذت من المسلمين في أيام صلاح الدين يوسف ابن أيوب في الآخرة سنة ثمان وخمسين، وإن السلطان الملك الأشرف صلاح الدين أخرج أهلها منها وقتلهم جميعا بالسيف، وكذلك عمل الفرنج بالذي كان فيها من المسلمين لما ملكوها في أيام صلاح الدين، فانظروا إلى هذا الاتفاق العجيب في أمور كثيرة، كما أخذت من صلاح الدين ملكها صلاح الدين ، وقتل المسلمون بها ثم قتل الكافرون بها، وأخذت من المسلمين ثاني ساعة من يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة، ثم ملكها المسلمون ثاني ساعة من يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى فسبحان مقدر الأمور، ثم أخوت عزائم الفرنج بأخذ عكا، فهرب من كان ببيروت وعثليت وهما حصنان عظيمان لاتطرق الأوهام إليهما، وملكها المسلمون بحول الله وقوته من غير منازع، وملكوا أيضا بيروت وحيفا، فلم يبق للفرنج من الساحل قلعة ولابلد ولاقرية ولاجزيرة إلا وملك المسلمون ذلك جميعه.

وتوفي المعظم توران شاه يوم الاثنين السابع والعشرين من المحرم من سنة ثمان وأربعين وستمائة والله تعالى أعلم.